روايات عبير

المشهد الأخير

www.elromancia.com

مرمورية

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

No. 055

روايات عبير

المشهد الأخير

بعد عامين كاملين من انفصالها المأساوى عن زوجها (جرانت فيريس)، كانت (ليسا) تعتقد أنها قد تعودت على حياتها الجديدة بعيداً عنه، آمله ألا تقع عيناها عليه مرة أخرى.

بيد أن أمنيتها ذهبت أدراج الرياح، حيث ظهر جرانت من جديد، وهذه المرة عرض عليها صفقة ليمنحها الطلاق الذى تريده إن وافقت.

ترى، ما الذى كان جرانت يسعى لتحقيقه؟ خاصة عندما تكتشف (ليسا) أن المرأة التى هدمت حياتها الزوجية، كانت لا زالت تمثل جزءاً حيوياً وهاماً من حياة زوجها ..!!

سوريا	٧٥ ل.س	البحرين	٧٥٠ فلس
مصر	٥ جنيه	قطر	٨ ريال
لبنان	٢٥٠٠ ل.ل	مسقط	٧٥٠ بيسة
الأردن	١ دينار	المغرب	١٥ درهم
السعودية	١٠ ريال	ليبيا	١,٥ دينار
الكويت	٧٥٠ فلس	تونس	١,٥ دينار
الإمارات	١٠ درهم	اليمن	٢٠٠ ريال

W.Salama 0101517873

اسم السلسلة: روايات عبير
اسم الكتاب: المشهد الأخير
الاسم الاصلى: Stamp of Possession
اسم المؤلف: شيلا سترات
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ١٥٣٤٣/ ٢٠٠٥
الترقيم الدولى: I.S.B.N. 977-376-129-0

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الأولى
٢٠٠٥

تطلب كافة منشوراتنا:
حلب: الجميلية أمام مسرح نقابة الفنانين - ت: ٢٢٥٦٨٦٠
دمشق: مكتبة رياض العلبى - خلف البريد - ت: ٢٢٣٦٧٢٨

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى هاتف: ٢٢٣٥٤٠١ ص.ب ٣٤٨٢٥ فاكس: ٢٢٤٧٢٩٧
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ تلفاكس: ٣٩١٦١٢٢
E-mail:darkitab2003@yahoo.com

No.055

روايات عبير

المشهد الأخير

شيلا سترات

الناشر
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

www.elromancia.com
مرمورية

المشهد الأول

- اقطع! حسناً يا رجال، عظيم!

- لننتقل إلى الموقع التالى.

ظل ذلك الهاجس مسيطراً على عقلها طوال الصباح، لكن مع هذه العبارة المألوفة لأذنيها والتى خرجت فى لكنة عدوانية مميزة من فم رجل ممتلىء القوام يرتدى قبعة زرقاء اللون، شعرت «ليسا بنسون» بغصة فى حلقها.

فيم كل هذا القلق والتوجس؟

www.elromancia.com

صحيح أنها لم تكن تعلم أن المكان تجرى فيه أحداث تصوير فيلم سينمائى، لكن.. لِمَ تشغل بالها بذلك؟...

ما فات قد مات، وعليها ألا تشغل نفسها سوى بالحاضر:

- مشوارها إلى متجر مستحضرات التجميل لعلها تجد شيئاً تستعيد به تلك الصورة الجميلة التى كانت آخر ما رآه «رامسى» منها عندما ودعته فى المطار وهو فى طريقه إلى المكسيك؛ صورة زوجة المستقبل للمدير التنفيذى لشركة بترول واعدة.

بدأ طاقم العمل فى الفيلم يتجمعون ويزحفون بكاميراتهم ومعداتهم. عبرت «ليسا» الطريق فى سرعة إلى الجانب الآخر، هاربة منهم جميعاً. إن توجسها من حدوث شىء غير سار لهو أمر سخيف حقاً! إن أقصى ما قد تخشاه هو ألا تجد فى المتجر ما يعينها على استرجاع تلك الصورة الأخيرة التى رآها عليها «رامسى».

دلفت ليسا إلى المتجر الذى بدا أكثر برودة من برد الشتاء القارص بسبب التكييف الذى أحال جو المكان إلى النقيض تماماً من حرارة الجو الخانقة فى الشارع بالخارج.

عندما جاءتها تلك الوظيفة وعملت سكرتيرة لبيل ماسى فى ذلك الجزء النائى من برارى كندا، قبل ثلاثة أشهر، كانت

تتوقع أن تقضى معظم وقتها فى مكتبها بالمزرعة، لكن حيث أن بيل ماسى لم ينجب أطفالاً فقد كان يأنس لصحبتها وكان يدفعها معظم الأيام للخروج معه، لركوب الخيل أو قيادة السيارة وتفقد أحوال المزرعة.

- أى خدمة يا آنسة؟

قالتها البائعة بعد أنهت أمر زبون آخر.

تمتمت ليسا فى ارتباك وقد أحمر وجهها:

- أجل...

ثم عبثت بمحتويات حقيبتها فى اضطراب وانتزعت وريقة ناولتها إياها..

- ها هى قائمة بما أريد.

تلفت حولها تتطلع لأسماء الماركات التجارية التى حفلت بها الأرفف.. لا حاجة بها للقلق من ألا تجد ما يناسبها. بل عليها بدلاً من ذلك أن تتوجس خيفة من ألا يكفيها ما تحمله من نقود، وأن تجد نفسها مضطرة إلى اللجوء إلى بطاقتها الائتمانية. لكن معظم ما أدخرته من المرتب السخى الذى كان يدفعه بيل ماس لها، لازال مستقراً فى المصرف، و «رامسى» يستحقه ولا شك!

- أوه! وأريد كذلك زجاجة عطر.

خرجت ليسا بعد قليل من المتجر تحمل فى يدٍ حقيبة مكتظة بمشترواتها، وبالأخرى كيس نقود خلف وزنه كثيراً..

كانت قد نسيت حينها كل شىء عن الفيلم الذى يجرى تصويره بالخارج، وفوجئت بحشد من الناس يندفع إلى الرصيف الذى خرجت إليه. بينما كانت هى بالداخل، كان طاقم التصوير قد انتقل إلى الموقع التالى الذى يقع مباشرة فى مواجهة المتجر واندفع الناس إلى الرصيف أمام المتجر مباشرة ليتفرجوا.

ارتدَّت إحدى السيدات فجأة بظهرها للخلف فاصطدمت بها ليسا وكادت تقع أرضاً لولا يد قوية أمسكت بها..

- شكراً لك!

ولم تكد تكلمها حتى وقعت عيناها على وجه صاحب اليد، وأدركت من فورها سبب كل ذلك التوجس الذى كان مسيطراً عليها.

- لا عليك..

اخترق مسامعها ذلك الصوت المألوف بنفس درجة ألفة الوجه.. صوت عميق مجلجل وكأنما يخرج من قاع بئر

عميق، يستطيع أن يتنقَّل بين الهمس والغضب الهادر..

- إلى أين أنت ذاهبة؟

واصل الصوت..

غمغمت فى تلعثم:

- سأعود إلى.. سيارتى.. لكن شكراً لك.. أستطيع الذهاب وحدى.

- أنا واثق أنك تستطيعين ذلك.

تألقت العينان الحائمتان فوق مستوى رأسها، ورددتا صدى السخرية التى تتقافز من نبراته..

قال:

- .. ومع ذلك فلا أظن أن القدر كتب لنا هذا اللقاء العفوى كى نترك الفرصة تمر هكذا دون أن ننتهزها، أليس كذلك؟

حاولت مراوغته قائلة:

- آسفة.. لا وقت لدىّ يجب أن أذهب.

رد فى سهولة عجيبة:

- وأنا واثق أن من ينتظركِ، أياً كان، سيتفهم الأمر لو

www.elromancia.com

أخبرته أنكِ لم يكن لديك خيار آخر.

وأضاف فى ثقة:

هيا سنذهب من هنا، هناك عربة مشروبات فى المؤخرة.

ولم تجد خياراً آخر سوى ذلك المظهر المحرج الذى ظهرت به وهو يدفعها دفعاً وسط الجموع ثم يجرجرها وراءه ليسيرا فى الشارع بسرعة.

لكن بدأ الناس الآن ينتبهون لذلك المشهد وينظرون فى فضول فى اتجاههما وبعضهم قد بدأ يتعرف على ذلك الوجه الذى طالما رآه الكثيرون منهم على شاشة السينما..

كان وجه «جرانت فيريس»، يعد واحداً من أشهر الممثلين السينمائيين فى العالم الغربى، وواحد من الكنديين القائل الذين استطاعوا بموهبتهم الفذة الوصول إلى القمة فى عالم الشاشة الكبيرة. وكانت ليسا تحفظ ذلك الوجه عن ظهر قلب.. بقسماته القوية، التى تكاد تكون خشنة قاسية، وذلك الأنف البارز، والفم الواسع. وجه قاس، أكثر منه وسيم! لكنه وجه طالما احتل المركز الأول بين نجوم الشباك، ولسنوات عديدة..

كان مستحيلاً ألا تصلها أخبار جرانت فيريس المختلفة،

فالمجلات تفيض ببريبور تاجات عنه، وصوره، داخلاً أو خارجاً من أحدى دور العرض فى ليالى الافتتاح، وبصحبته نجمة حسناء واعدة أو أخرى. أو لقطة لأحد الأفلام التى يصورها:

- أو قصص حقيقية عن حياته ومغامراته العاطفية.. حتى أنه يصعب على أى شخص يقف إلى جوار أحد أكشاك بيع المجلات والصحف أن يتفادى اصطدام نظراته بصورة لجرانت فيريس أو بشىء عنه.

- هيا سننعطف عند هذه الناحية.

وعندما انعطفا عندها عادت تكرر فى يأس محاولاتها اليائسة للهروب..

- لا وقت لدىّ!

وعاد يصر فى عناد:

- وأنا قلت سمتأتين معى!

ورماها بنظرته المدمرة دون أن يخفف من إيقاع سيره، بينما استحالت الغصة فى حلقها إلى حمل ثقيل.

الوجه مألوف.. لكن ما أحدثته هاتان العينان من صدمة لكيانها! عينان زرقاوان بلون الكوبالت، عميقتان تكادان

تخترقان رأسك وتستنطقات أفكارك! نظرة منهما على الشاشة، وتظن كل امرأة أنهما تنظران إليها.. هى وحدها.

لاحظ اضطرابها فابتسم فى ثقة، وتألق فى الحال صفَّان من الأسنان البيضاء، بديا متناقضان مع بشرة وجهه التى صبغتها الشمس بلون بنى قاتم..

قال:

- هناك وقت دائماً للأشياء المهمة. كما يجب أن نتحدث معاً.

غيَّر اتجاهه مرة أخرى، لكن هذه المرة إلى ساحة انتظار مخصصة لأحد الفنادق وقد أخليت تماماً إلا من سيارات طاقم التصوير وشاحناتهم، وعربة المشروبات فى أحد الأركان.

قالت فى وهن:

- لا شىء لدىّ لأقوله!! وخصوصاً لك أنت بالذات!

صاحت «ليسا» فى غضب... قد لا تقدر على مقاومته، لكن لا بأس من المحاولة.

توقف واستدار يواجهها. لاحظت أن أثر ذلك الجرح الغائر لازال فى وجهه.. خيط رفيع أبيض لا يكاد يُرى،

ويمتد من جانب حاجبه إلى شعر رأسه..

قال:

- فى هذه الحالة لابد أنك امرأة ليس بين النساء مثلها!

كان يبتسم.. لكن بالقطع لم تكن ابتسامة رضا...

وأضاف:

- .. لو كان لى أن أصدق تلك النجومية التى تضفيها الصحف علىّ، فلابد أن نصف نساء العالم يتمنيَّنَّ لو فقدن نصف عمرهن ليكُنَّ مثلك الآن!

ثم انقطع الهزل فجأة وواصلت فى جدية:

- .. سنتحدث، وليس أمامك من خيار إلا أن نتحدث هنا والآن، أو تحضر كوبين من القهوة ونتزوى فى أحد الأركان.

تلفتت «ليسا» حولها. كانا يقفان فى منتصف الساحة تماماً، وقد بدأ بعض أفراد طاقم التصوير- وكانوا يهرولون جيئة وذهاباً لتناول قهوة الراحة. ينظرون فى اتجاههما فى فضول، وقد وقفا كالديوك على وشك العراك.. لا فائدة من الجدال..

- حسناً. سأتناول كوباً من القهوة.

قالتها فى استسلام وأضافت:

- لكن، لقد قلتُ لك ألا شىء لدىَّ لأقوله لك!

قال:

- سنرى..

هل تعدو هاربة منه؟

- لا لا. لن يفيد فلسوف يلاحقها ويعثر عليها بكل سهولة. وإن هربت منه فإلى أين؟

- ليس سوى إلى مزعة ماسى ولن يجد جرانت أدنى صعوبة فى اقتفاء آثارها إلى هناك.. ففى مدينة صغيرة كهذه يكاد الجميع يعرف أحدهم الآخر، ولربما استطاع أول شخص يوقفه جرانت ليسأله، أن يخبره أين تعيش تلك الفتاة ذات الشعر الأحمر واللكنة الإنجليزية المميزة.

تبعته إلى حيث عربة المشروبات، واحتل مكانه وسط طابور الفنيين الذين بدأ عددهم يتزايد، واقفين فى انتظار الحصول على كوب من القهوة.

وقف بينهم كواحد منهم، لكن مع ذلك يتميز عنهم. صحيح أنه يرتدى تلك الملابس العادية المألوفة التى يرتديها العمال أثناء العمل، سروالاً من الجينز وقميص أزرق اللون؛

لكنه لن يكون أبداً مجرد فرد ضمن فريق للعمل.. لقد كان نسيج وحده، متفرداً متميزاً.. رجل يضع تحدياته بنفسه ويقضى عمره يناضل للتغلب عليها...!

ذهبت إلى حيث يقف، ووقفت على مبعدة خطوات منه. مر بها بعض أفراد الطاقم يتهامسون ويتبادلون الملاحظات العارضة، بينما جاءته فتاة الاسكريت تتأكد منه من بعض تفاصيل التصوير فى الأوقات اللاحقة من اليوم.

ورمت ليسا بنظرة فضول عابرة، لكن جرانت نفسه لم ينتبه بالمرة لوجود ليسا إلا بعد أن صارا واقفين تحت مظلة العربة فأخرج أحد الطهاة بداخلها رأسه ونظر إليه فى تساؤل.

استدار إليها جرانت وسألها:

- هل أجلب إلى شيئاً لتأكليه؟

أجابته:

- لا. شكراً لك.

سينحشر الطعام فى حلقها ولا شك..

عاد يلتفت إلى الطاهى قائلاً:

- إذاً، كوبان من القهوة يا جوردى.

أجاب الرجل:

- حالاً يا صاح!

وأسرع الطاهى يضع كوبين من البلاستيك على رف العربة. أضاف جرانت بعض اللبن فى أحدهما، ثم التقط وعاء السكر وتردد قليلاً ثم أعاده إلى مكانه.

- هاك.

ناولها القهوة غير المحلاة والتقط كوبه.

قال لها:

- إلى هناك.. هيا!

وأشار فى هدوء الواثق إلى جانب من الساحة تُرِك خالياً، وكأنما بسابق اتفاق.

تبعته وليسا دون ثمة اعتراض إلى حيث أشار وجلست على أحد الكراسى القماش، وقد بدأت ملامحها تتصلب مع استغراقها فى الصمت الذى طال.

صحيح أن معظم النساء سيتمنين لو فقدن نصف عمرهن وجلسن فى مكانها حيث تجلس الآن، لكنها قد نضجت الآن وكبرت، وقد علمتها الحياة دروساً دفعت ثمنها غالياً! لقد أتى بها إلى هنا بعجرفة النجوم؛ حسناً ليبدأ هو بالكلام...!

- ماذا تفعل هنا؟

هى التى بدأت! وسألته فى اضطراب.

تقافزت نظرات الظفر فى عينيه...

- نصوِّر اللقطات الخلفية لفيلم عن تمرد «الريل»..

أضاف دون مبالاة:

- لم تتغير الأحوال هنا كثيراً فى المئة سنة الماضية بدرجة تَصعُب عليك الأمر لو حاولت تفادى تصوير السيارات وهوائيات التلفزيونات المنتشرة فوق الأسطح. سنتجه شمالاً الشهر القادم لنبدأ الجزء الرئيسى فى الإنتاج..

- هل ستذهبون فى الشتاء؟

ليبق الحديث حول الفيلم أفضل..

قال لها:

- بكل تأكيد. أريد أن يكون لفيلمى مصداقيته.. إنه أول فيلم أقوم بإنتاجه ولذا أريد الجمهور أن يشعر بالصدق فيه بدرجة كبيرة. هل سمعتِ الأخبار؟

ساد الصمت لحظات..

www.elromancia.com

التقطت فنجانها ورشفت رشفة..

قالت:

- أية أخبار؟

أجابها:

- إننى بدأت أقوم بإنتاج الأفلام؟

نظر إليها فى تحدٍ.. لكن كيف لها أن تنكر ذلك؟

- «النجم يتحول إلى وحش إنتاج».. «فيرس يكتسح سوق الأنتاج».. جرانت من أشهر الكنديين على مستوى العالم؛ حيث صحف البرارى تمتلأ بعناوين أخباره وأعماله.

قالت بعد صمت:

- أجل. سمعت ذلك.

شعرت بالاحتقار تجاه نفسها.. واحتقرته أكثر لأنه أرغمها على التسليم بأنها لا تزال تهتم بأخباره.

- لكن لقد سمع الجميع عن شركة الإنتاج الكندية التى أسسها لتدفع بصناعة السينما فى كندا إلى ساحة العالمية، وسمعوا كذلك عن المرأة التى اختارها لتلعب دور البطولة النسائية الوحيد فى ذلك الفيلم الذى لولا هذا الدور لكان

ذكورياً خالصاً.

- هل إذا لعبت دور زوجة جرانت فى الفيلم، سيؤدى إلى قرع أجراس الزفاف حقاً؟

- هكذا تساءلت إحدى كاتبات الأعمدة فى صحيفة كبيرة.

- أسعدنى أنك على علم جيد بذلك.

مال بظهره للخلف مسترخياً على كرسيه وتفحصها بنظراته، راضياً.

- من الصعب ألا أعلم بذلك.

قالتها فى تحرُّج واضطراب.

- أجل. أتوقع ذلك!

قالها وواصل نظراته الفاحصة لها بعينين نصف مغلقتين، ونصف منوِّمتين لها تنويماً مغناطيسياً ساحراً.. انتزعت نفسها من براثنه فى صعوبة..

وضعت كوبها فجأة وقالت:

- يجب أن أنصرف!

أوقفها بكل سهولة قائلاً:

www.elromancia.com

- ليس بهذه السرعة!

هناك شىء آخر. أنا فى حاجة لسكرتيرة ذكية مثلك وأريدك أن تعملى معى فى هذه الوظيفة.

- مستحيل!

قالتها فى رعب حقيقى.. لن تعمل معه ولو كان آخر الرجال على ظهر هذه الأرض!

هبت واقفة فجأة فكادت المنضدة القماش أن تنقلب لولا أن أسرع يمسك بها بيد.. وليسا بالأخرى.

- مغامرة أخرى يا جرانت؟!

انطلق السؤال من فم ذلك الرجل الذى سمعته يصيح وطالباً بإنها التصوير فى ذلك الصباح المشئوم.

تدحرج صوته كجبل جليدى ينهار من أعماقه.

- لا. بل هى زوجتى!

لقطة من الماضى

باربادوس! تلك الجزيرة الساحرة التى تبدأ منها الحكاية، لكنها لا تنتهى عندها، بل تمتد إلى ما وراء خط الأفق والتوقعات.. وخيبة الأمل. كان الشاطىء ساحراً كعادته فى ذلك الوقت من الصباح. ولأن الجزيرة تقع إلى الشمال من خط الاستواء ببضع درجات، كانت الشمس تشرق وتغرب دائماً فى السادسة، أو نحوها بقليل، وفى السادسة والنصف من كل صباح تجد ميليسا جين بينسون على الشاطئ. وفى العادة يكون الشاطئ ملكاً خالصاً لها، فلم يتململ السياح

www.elromancia.com
مرمورية

بعد فى فرشهم ولم يعكروا بعد صفو المكان.

رأته لحظتها على البعد، شبحاً غائماً مشوشاً فى ظل حرارة الجو التى كانت قد بدأت بالفعل ترتد من الرمال البيضاء، لكنها عندما اقتربت من البقعة التى تستمتع فيها بنزهتها الصباحية المعتادة، كان قد بدا أكثر وضوحاً وملامحه أقل تشوشاً.

كانت الشمس التى تداعب بأشعتها مؤخرة رأسه، قد حولت كل شعرة من شعره الأشقر إلى اللون الفضى، بينما بدا بقامته الممشوقة وبنيته الرياضية وخطواته الخفيفة الواثقة، فى تناقض عجيب مع أشجار النخيل السامقة الساكنة فى جمود التماثيل.

لا. ليس سائحاً. هكذا قررت ميليسا فى نفسها. كذلك لا يبدو من مظهره أنه أحد سكان الجزيرة. الجزيرة مكان صغير يعرف سكانه بعضهم البعض جيداً، ولو بطريق الشبه.

جاء صوته:

- صباح الخير يا آنسة.

توقف على بعد خطوات منها، عند سفح عدة درجات ترتقى صعوداً على الشاطئ، وكان فى صوته الرنان العميق

ما أكد لها انطباعها الأول..

ليس من سكان الجزيرة، ولا من السائحين.

كانت لكنته كندية، وليس ذلك غريباً، فعدد كبير من السائحين يفد إلى الجزيرة قادماً من كندا، لكن صوته مختلف عمن تعرفهم من الكنديين. هادىء، واثق، ليس به ذلك التعجل الذى يميز سائحى الصباح الباكر وهم يحاولون اختلاق صداقات سرعية فى أسبوعيهم الأخيرين على أرض الجزيرة.

- أهلاً!

صاحت به، وقد تسرب شىء من الدهشة إلى أعماقها أن صار أطول من الأول.

وبدت فتاة أشبه بالسيدة، ومظهرها يعطى من يراها انطباعاً بأنها لا تزال فى دراستها بالمرحلة الثانوية.

هتف بها:

- لم أكن أتوقع أن أجد أحداً هنا فى مثل هذا الوقت المبكر. كنت أظننى سأنفرد بالشاطئ كما أحب.

وبدا من صوته أن ذلك ما كان ينويه فعلاً، نزهة منعزلة فى الصباح الباكر حاملاً أفكاره معه، وربما همومه، ليبعثرها

على طول نزهته أو يذيبها فى ماء البحر الذى تحول لونه من الرمادى إلى القرمزى إلى الأزرق المتلألأ.

توقفت ليسا وقالت:

- عادة أجىء إلى هنا كل صباح للتنزه.

لطالما حذرتها أمها من الغرباء ولطالما نصحتها بألا تكون سريعة الثقة بهم، لكن «ليسا» كانت دائماً ما تضحك كلما سمعت من أمها تلك النصائح..

لقد قضت أربعة عشر عاماً من سنى عمرها السبعة عشرة على هذه الجزيرة، وتكاد تعرف كل إنسان فيها.

حسناً... إن باستطاعتها أن تحمى نفسها وقت الضرورة. لكن مع هذا الرجل؟ لا تدرى.. إنه أكبر كثيراً من أصدقائها المراهقين، على الأقل فى منتصف الثلاثينات؟، وبرغم أنه لم يقل ولم يفعل شيئاً، فقد أصبحت فجأة تشعر بتوجس من خلو المكان من الناس تقريباً، والهدوء المخيم عليه.

استدارت فجأة فى ارتباك وقالت:

- يجب أن أنصرف.

- إلى مدرستك؟

رد فى سرعة وخطا خطوته جانباً.

وبرغم رشاقته الواضحة، فقد بدا فى مشيته شىء من العرج. وندب غائر كذلك! كان عبارة عن خط أحمر رقيق يمتد من أسفل شعره إلى حاجبه الأيسر فيبدو الحاجب مرتفعاً قليلاً ويكسبه نظرة ساخرة، لكن فيما تحت هذه النظرة الهازئة بدا الوجه مرهقاً تعباً؛ منهكاً تماماً!

تحرك شىء ما بين ضلوع ليسا.

قالت:

- لا. لست منصرفة لأذهب إلى المدرسة.

وخلعت حذاءها تنفض ما علق به من رمال، ربما لتخفى توترها الذى بدأ يزداد.

وأضاف:

- إلى العمل إذاً، أم أنك فى إجازة؟

كان فى تلك الأثناء يسير إلى جوارها، فى هدوء وثقة واطمئنان... وكأن من حقه أن يرافقها إلى حيث المنزل الخشبى الجاثم فوق صخرة منخفضة.

- لا هذا ولا ذاك.

قهقهت ضاحكة وذاب شىء من توترها. كل ما أحست به ساعتها أن معدتها تقلصت وبدأت عصافيرها تصرخ طالبة

الفطور. ضحكت مرة أخرى مستمتعة بالضحك.

- أعيش هنا.

أومأت برأسها تجاه المنزل الخشبى ذى اللون الوردى الذى لفحته الشمس، وأضافت:

- لكننى أنهيت دراستى الصيف الماضى. الآن أنا فى كلية للسكرتارية.

رد فى خفة:

- لم أكن أعلم أن فى باربادوس كلية كهذه!

أجابته فى حماس:

- بل فيها! إنها فى «بريدج تاون» لكنها كلية صغيرة.

كانت تنظر فى عينيه اللتين أخذتها على غرة بزرقتهما الصافية المريحة، التى بدت زرقة الكاريبى المترامى من خلفها لوناً باهتاً لا يمت للزُرقة بصلة.

سألها وهو يومىء برأسه تجاه المنزل:

- وهل تعيشين هناك؟

أجابته:

- أجل.

قال:

- فى هذه الحالة قد نستطيع اللقاء مرة أخرى.

وابتسم فزال عن ملامحه شىء من الإرهاق.

أضاف:

- أقيم عند صديق هناك على الشاطىء.

وأشار إلى فيما وراء الفنادق التى كان عمالها الشباب قد بدأوا بالفعل يضعون الأسِرَّة الشاطئية وينظفون رمال الشاطىء فى استعداداً ليوم شمسى جديد. كانت الفيلات المقامة فيما وراء منطقة الفنادق مقامة على أراض يمتلكها أصحابها، ومعظمهم ليسوا من أهل الجزيرة، وكُلهم من الأثرياء.

هزت رأسها متفهمة واستدارت إليه بشكل عفوى فوجدته ينظر إليها بعينيه الزرقاوين، ومرة أخرى أحست بتلك الرعدة تسرى بين ضلوعها.

سألها:

- ما اسمك؟

أمسكت عيناه بتلابيب عينيها فى زرقة لامعة آسرة.

- ليسا.. لا.. بل ميليسا بينسون.

صححت نفسها بسرعة؛ إذ رأت أنه من الأفضل أن تذكر له اسمها بالكامل.

أضافت فى تورد:

- عذراً! لكن يجب أن أنصرف الآن.

وأسرعت تعدو مرتقية درجات السلم الخشبى المؤدى إلى منزلها، وقد بدت صورة مشوشة طائرة. عندما التفت خلفها بعد قليل، كان قد بدأ ينصرف بالفعل.

لم تره بعد ذلك على الشاطىء أبداً.. وبدأ غيابه يحتل مساحة شاسعة من تفكيرها.

كانت تضبط نفسها كل صباح وقد بكرَّت عدة دقائق أو تأخرت عن موعد انصرافها المعتاد عدة دقائق.. وفى كل مرة تتعلل لنفسها بوجود سبب آخر جعلها تبكر فى الحضور أو تتأخر فى الانصراف.. لكن.. هل يخدع المرء نفسه؟ فى أعمق أعماقها كانت تعلم أنها لا تفعل ذلك إلا على أمل أن تراه.

لكن لماذا كل هذا الانشغال بشخص ربما يكون قد غيرَّ رأيه وغادر الجزيرة كلها؟

لماذا وأمامها الحياة ممتعة مليئة بكل بهجة تشغل القلب، وخصوصاً فى ذلك الموسم السياحى الممتد من ديسمبر إلى إبريل؟ كما أن باستطاعتها الخروج كل ليلة مع أصدقائها والاستمتاع بليالى الجزيرة الهادئة والاستئناس بنجومها التى تزين صفحة سماء الليل.

- هل سمعت من الذى يقيم عند آل كامبل؟

وجهت أمها السؤال إلى كليهما فجأه ذات ليلة: إلى «ليسا» التى كانت جالسة عند طرف مائدة العشاء، وإلى أبيها الجالس قبالتها عند الطرف الآخر.

- لا؟ مَنْ؟

رد أبوها متسائلاً.

لم يكن جورج بينسون ليبدو أقل اهتماماً بالأمر من ذلك. كان أكبر كثيراً من أمها، ويكاد يبلغ سن المعاش بعد حياة قضاها مدرساً، فى الجيش أولاً، ثم فى واحدة مما كان من قبل مستعمرة بريطانية، ثم انجرف بالفعل إلى ذلك العالم الذى كان يمثل الاهتمام الحقيقى لديه، عالم الكتب.. وباستثناء زوجته، فقد كان كل الناس، بمن فيهم ليسا، يحتلون المرتبة الثانية.

أجابته ليلى بينسون:

- بطل سباق السيارات الكندى «جرانت فيريس». ذلك الرجل الذى تمتلأ كل الصحف بأخبار حادثته الفظيعة.. يبدو أنه قضى فترة نقاهته عند آل كامبل. لهذا لم تأتِ سيلفيا إلى الحفلة، كان عليها أن تبقى إلى جواره لترعاه. طبعاً هى لا تقوم بكل شئون التمريض بمفردها.

ابتسمت وهى ترى بعين خيالها «سيلفيا كامبل» الثرية المتزنة تغير ملاءات السرير، أو ربما تفعل ما هو أسوأ من ذلك!

أضافت:

- لكن يبدو أنه تعرض لانتكاسة كادت تقضى عليه، بعد وصوله إلى الجزيرة بقليل.

مستحيل! صرخت ليسا فى أعماقها. أيكون هو نفسه ذلك الرجل الذى التقته على الشاطىء ذلك الصباح وجثم بين ضلوعها منذ ذلك الحين؟!

بدت ليسا من الخارج تتناول ثمرة الأفوكادو التى أمسكت بها بغير اهتمام، أما من الداخل فقد كان عقلها يمور ويفور مقارناً ما تسمعه بما تعرفه.

ذلك الندب الغائر مع شحوب الوجه والإرهاق المطبق على ملامحه، كلها لا تشير إلا إلى رجل خرج لتوه من المستشفى ويقضى فترة للنقاهة.

لكن فيما تحت ذلك كله توجد تلك القسوة التى يصطبغ بها رجل يكسب قوته من عمل عمل شديد الخطورة.

ثم هناك أيضاً سيلفيا كامبل. أجل! إن آل كامبل يمتلكون إحدى الفيلات التى تقع وسط الفيللات التى أشار إليها عندما كان معها على الشاطىء

وبينما كانت هى تتعجب فى نفسها من غيابه المفاجئ عن الشاطىء، كان هو مريضاً، بل يصارع الموت إن شئت الدقة، وإذا ما صدقت كلام أمها!!

الآن تحولت تلك الرعدة التى كانت تحُسُّها ين ضلوعها، إلى ألم.. ألم عنيف.

غصت وهى تتناول ثمرة الأفاكادو التى كادت تتحشر فى حلقها.

نظرت إليها أمها فى قلق وسألتها فى سرعة:

- ما بك يا عزيزتى؟

- أسرعى وتناولى بعض الماء!.

ثم واصلت حديثها قائلة:

- لكنه تعافى الآن، وقد دعتنا سيلفيا، كلنا، إلى حفلة ستقيمها على شرفه يوم السبت القادم. وأنت يا ليسا كذلك مدعوة.. وأنت يا جورج فلا تحاول أن تقول لى أنك ستعتذر!

لم تكن سيلفيا كامبل قد دعت ثلاثتهم فقط إلى الحفل، بل الجزيرة كلها!!

كان المكان يغص بالحضور من مختلف الأعمار، والأنحاء. كان كل من تعرفهم ليسا هناك. كل أصدقائها وصديقاتها من الشباب فى مثل عمرها، وقد ارتدى كلٌ منهم أبهى ثيابه وعلت وجوههم جميعاً السعادة. لكن كل الشباب الذين تعرفهم بدوا فى عينيها صغاراً ساذجين.. مملين.. إن جرانت فريس سيبدو فى وسطهم «لُقَطَة».

ورأته ليسا بمجرد أن دلفت إلى صالة المنزل، بالرغم من أنها لم تستطع التعرف عليه فى البداية إلا بصعوبة. وكان الرجل الذى رأته على الشاطئ نسخة بالكربون من ذلك الرجل الذى تراه الآن: مفعماً بالحيوية والقوة والمرح.

كان يضحك ملء قلبه فى وجه المرأة التى كانت تسير إلى جواره، وعرفتها ليسا بسهولة، إنها إحدى نجمات السينما المشهورات اللاتى تملأ صورهن صفحاتِ جرائد الجزيرة، وكانت قد أتت إلى الجزيرة لتقضى إجازة قصيرة.

ومرة أخرى، دون أن تدرى السبب فى ذلك، أحست بذلك الألم فى مكان ما بين ضلوعها..

- هل أحضر لك شيئاً لتشربيه؟

توقفت الموسيقى وسألها مرافقها.

أجابت:

- أجل.. كولا!

غمغم الشاب فى دهشة:

- كولا!! لكن لماذا كولا بالذات؟ هناك أنواعاً عديدة من العصائر الطازجة المثلجة هنا!

أمالت رأسها فى عناد وقالت:

- بل قلت كولا، ولو لم تحضرها أنت فسأذهب بنفسى وأحضر ما أريده.

وبالفعل تركته وانصرفت فى سرعة وغاصت وسط الحشود المجتمعة عند البوفيه.

لمحت أبويها فى إحدى الحجرات وسط جماعة من أصدقائهما.. لكنها لم تلمح أثراً لجرانت. كنت تتوقع منه أن يتعرف عليها بمجرد أن تقع عيناه عليها، وتسارعت أنفاسها

عندما نظر إليها ساعتها وكادت تتوجه ناحيته لكنه استدار مع رفيقته، وكأنه لم يرَ ليسا بالمرة!!

لكن لماذا تتوقع منه أن يتذكرها؟ إنهما لم يتقابلا إلا مرة واحدة من شهرين، وبالرغم من أنه احتل أركان خواطرها وبدأ يوسع فى امبراطوريته التى أقامها على أنقاض صفو بالها يوماً بعد يوم، فإنه بالقطع كانت لديه أشياء أخرى ينشغل بها.

لابد أن مرضه... وكذلك وصول هذه الممثلة الحسناء- إذا كانت ليسا مصيبة فى ظنها- التى تناسبه أكثر من ليسا المراهقة التى لم يلقها إلا مرة واحدة على الشاطىء، لابد أنهما قد مسحا ذكرى لقائه بها من عقله تماماً.

- يكفى ما شربتيه من تلك الكولا حتى الآن!

فاجأها بصوته الهادىء وامتدت يده تمسك بكوب الكولا فى قوة يمنعها من تناوله.

صرخت فيه:

- ليس هذا من شأنك!

- قد تكونى محقة. لكن هذه المشروبات الغازية ضارة إذا أكثر المرء من تناولها وحيث أنه لا يوجد برفقتك من يشغل

باله بأمرك، فأعتقد أن هذا من مهام مسؤوليتى.

ردت فى حيرة:

- لكننى أستطيع الاعتناء بأمورى الشخصية بنفسى!! وليست بى حاجة إلى مساعدة الآخرين!

سألها فى هدوء: حقاً؟ كيف؟

ردت فى توتر وغضب:

- قلت لك ليس هذا من شأنك. ثم بأى صفة تسألنى لتتدخل فى أمورى؟

أجابها باسماً: بصفتى صديق قديم.

حدقت فى عينه لحظات ثم التوت شفتاها فى ابتسامة سافرة سرعان ما إن استحالت إلى ضحكة عذبة، وانفجر كلاهما فى الضحك بسعادة وود.

- إنه كبير جداً عليك يا ليسا، كبير جداً وذو تجارب كثيرة جداً عليك يا صغيرتى.

ظلت أمها تكرر على مسامعها، المرة بعد المرة.. وكانت ليسا تعلم جيداً ماذا تقصد أمها بذلك.. لكن للقلب أحكامه وللحب سلطانه. لم تهتم. لقد فات الأوان الآن. كان يريدها.. وكانت تريده، وكانت تعلم ذلك فى كل مرة تتصافح فيها نظراتهما.

- لن يعود يا ليسا.

وهكذا حذرتها أمها عندما انتهت عطلته وغادر الجزيرة.

- إن مجرد حب عابر. وأنا واثقة من أنه سينساك بمجرد أن تطأ قدمه لندن.

لكن المكالمات الهاتفية والخطابات كان تصل يومياً.. خطابات طويلة معطرة حنونة ملؤها التأكيد على عودته والتحام مستقبليهما حتى نهاية العمر.

- إنك تحبين لمجرد الحب يا ليسا!

هكذا قالت لها أمها يأساً منها.

لكن ليسا أجابتها وقد توردت وجنتاها:

- بل أحب جرانت يا أمى أحبه بكل ذرة فى كيانى.. وبرغم ما تقولين فهو أيضاً يحبنى!!

وعاد. فى أحد صباحات إبريل المشرقة الندية، والعصافير تغرد وتحوم فى مرح وفرح حول سياج من أشجار الكركديه، وعلى خلفية من بحر متألق.

وأصبحت ليسا زوجته.

صفقة عجيبة

- هذه زوجتك؟! زوجتك؟!

فى زمن آخر ومكان آخر أخذ رجل ذو لكنة لندنية يكرر غير مصدق.

- أجل.

قالها «جرانت» بوجه لم تشبه شائبة من أية تعبيرات.

- مستحيل لا أصدق ذلك!!

فليهز. رأسه تكذيباً ودهشة كما يشاء، إنها الحقيقة.. قد

www.elromancia.com

لا يكون هناك شخص واحد فى كندا يعرف ذلك، لكنها مازالت زوجته ميليسا بنسون فيريس.

تطلعت ميليسا إلى وجه الرجل الذى ظلت تحمل اسمه طوال ثلاث سنوات من النعيم، بدا خلالها أن سعادتهما لا يمكن أن تنقضى أو تضعف، ثم ظلت تحمله لثلاث أخر، عندما بدأت هذه السعادة تنقضى فى وهن شيئاً فشيئاً.

- ميليسا، هذا هو نوريس بوتر، المخرج.

قدمه لها جرانت، لكن نوريس لم يكن يصغى.

صاح نوريس فى دهشة، وبلكنة لندنية مميزة:

- لا تهزأ بى يا رجل! متى حدث كل ذلك؟! أهل أحضر المشروبات وأجلس؟!

تجاهل جرانت السؤال ورد فى برود:

- أفضل أن تتركنا بمفردنا.

تراجع نوريس إلى الخلف فى بطء وعلى مضض قائلاً:

- طبعاً طبعاً. أنت الريس هنا. لكن لا تنسى أن علينا تصوير مشهدين هنا قبل الغداء.

ثم ألقى عليهما نظرة أخيرة وانصرف.

«ميليسا! كيف حالك؟»!

سألها جرانت. ياه! مر زمن طويل قبل أن تسمع اسمها ينادى عليه بهذه الطريقة. عامان كاملان! ورغم ذلك مازال ذلك الصوت الدافىء يجعل القشعريرة تسرى فى بدنها. كما سرت القشعريرة فى كيانها كله عندما أدركت أن جرانت رتب لأن يكونا بمفردهما، فقد بدأ الكل، وكأنما باتفاق غير معلن، يلملمون أشياءهم ومعداتهم وينسحبون لمواقع التصوير فى الشارع، حتى الطهاة فى سيارة الأطعمة تراجعوا إلى مؤخرتها وانشغلوا فى إعداد الغداء.

- بخير.

تمتمت فى خفوت.

وكأنهما غريبان تقابلا بالصدفة. ها هى ستة أعوام تُختصر فى أربع كلمات. لا، بل ثمان سنوات، إذا ما أضافت السنتين اللتين انقضتا منذ تركته.

تطلعت إلى وجهه بتركيز شديد مرة أخرى.. كم تغير! لم يعد هو هو ذلك الشاب الأشقر الوسيم. صحيح أن شعره الأشقر الجذاب لازال كما هو، لكنه صار أطول حتى كاد يلامس ياقة قميصه ويتخلله اللون الأبيض من آثار كر السنين وتعاقب الأيام. زادت التجاعيد المرتسمة على وجهه

الصارم، وعند أركان عينيه لاحت أشباح هالات سود لم تكن تراها من قل.

- لقد تغيرتِ يا ميليسا.

وكأنما قرأ أفكارها!

تابع:

- عندما تركتنى ومضيت، كنت لا تزالين تبدين وكأنك فى السابعة عشرة. لابد أنك كبرت كثيراً فى العامين الماضيين.

- كان أمراً لابد منه.

غمغمت فى شرود.

وكان ذلك صحيحاً.

ففى البداية كانت تمر أربع وعشرون ساعة فى اليوم من العمل فى أحد محلات بيع الزهور، ثم المواظبة على الدراسة فى كلية السكرتارية، ثم الفرصة التى واتتها لترك لندن، حيث كانت تشعر بالأنس والراحة، لتأتى إلى كندا حيث ولدت وعاشت طوال السنوات الثلاث الأولى من حياتها.

سألها:

- كيف حال والديك؟

- لا زالا يعشيان على الجزيرة. مازال أبى يواصل سماع الموسيقى والاستمتاع بكتبه وأمى لا تنفك تستمتع بأمسياتها مع صديقاتها. لم أعد أراهما كثيراً.

حسناً. يكفى هذا القدر من الثرثرة معه. لابد أن تكون حذرة. هذه الدردشة اليومية الودودة ستجعلها تنسى. يجب ألا تنسى. بل إن جرانت نفسه قد ابتسم عندما ذكرت أمها وأمسياتها التى لا تنتهى؛ لاحت شبح ابتسامة رقيقة حول جوانب عينيه الزرقاوين، وأضاءت وجهه كله.

مرة أخرى بدأ ذلك الوجع فى قلبها يؤلمها من جديد، ذلك الوجع الذى كانت تظن أنها لن تشعر به مرة أخرى. لازال إعجابها به موجوداً بنفس القوة. لكن الحب ضاع. لكن حتى لو كان إعجابها به لازال موجوداً، فماذا قد يعنيه ذلك؟ لا شىء. بعد هذا اللقاء العارض لن تلقه أبداً، ولن تقابله.

قالت فجأة:

- يجب أن أنصرف.

أمسك بمعصمها فى سرعة وقوة قائلاً:

- ليس بهذه السرعة! لم تجيبى على سؤالى بعد.

قالت فى دهشة:

- سؤالك؟ أى سؤال؟!

قال:

- لقد عرضت عليك عملاً، ولم تعطينى رداً.

أخفضت نظراتها لكنها كانت تعلم أنه لازال ينظر إليها.

أجابته:

- لدى عملى بالفعل.

أمرها ببساطة:

- إذاً اتركيه.

صاحت فيه فى غضب:

- ليس من حقك أن تأمرنى بشىء! بعد عامين لم أسمع فيهما شيئاً عنك، تقتحم علىّ حياتى بكل بساطة وتبدأ فى توجيه الأوامر إلىّ! لقد بدأت حياة جديدة لست أنت جزءاً منها!

قال لها فى صوت عميق:

- لكنك لازلت تريدين الطلاق، صحيح؟

أجابت فى الحال:

- طبعاً!!

كانت قد توقفت عن طلب الطلاق منه، منذ قدومها إلى كندا، وقد رضيت بأن تنتظر المدة القانونية المقررة قبل أن تستطيع الحصول على الطلاق منه بأمر المحكمة، ودون موافقته، لكنها مع ذلك لا تزال تذكر نهر الخطابات المتدفقة بين محاميها فى لندن ومحامى جرانت الذى ظل يردد باستمرار ودون ملل قائلاً:

- موكلى لا يرغب فى إنهاء الزواج فى هذه المرحلة.

واصل جرانت فى نعومة:

- إذاً، فمن العقل أن تستمعى لما سأقوله:

سألته فى غضب:

- وما الذى يجبرنى على سماعك؟ وما الذى يدعونى أصلاً للتفكير فى العمل لديك؟

رد فى هدوء:

- قلتُ لكِ من قبل. أنا فى حاجة لسكرتيرة إنتاج لهذا الفيلم وقد سمعت أنك سكرتيرة ممتازة.

قالت فى أسى:

- شكراً على هذه المجاملة..

كيف له أن يعرف أنها سكرتيرة ممتازة بعد كل هذا الغياب عن حياتها؟

واصلت:

- لكن كما قلت لك بالفعل، فلدى عملى.

بدا مصمماً وهو يقول:

- وأنا قلت لك أيضاً، أنك باستطاعتك تركه. إلا إذا.

صمت لحظة ثم حدق فيها وأضاف فى تفكير:

- إلا إذا كان هناك سبب «شخصى» يمنعك من العمل معى؟

ربما حانت لحظة إخباره بأمرها مع «رامسى»؟ هو حفيد بيك ماسى وقد قابلته عندما أتى إلى المزرعة ليقضى بها عطلة نهاية الأسبوع كعادته المتقطعة. لكن بعد اللقاء الأول معه، تكررت زيارات نهاية الأسبوع وأصبحت أكثر انتظاماً، ثم طلب منها الزواج به قبل قيامه برحلة عمل إلى المكسيك مباشرة.

ردت فى اقتضاب:

- بالطبع ليست هناك أسباب شخصية تمنعنى من ترك آل ماسى.

أغاظها قائلاً:

- لماذا لا تتركينهم إذاً؟ ها أنذا أعرض عليك عملاً واعداً، السفر إلى أماكن التصوير المختلفة والعمل مع أكبر نجوم السينما. ما العيب فى ذلك؟

- كل شىء! وأسوأ ما فيه إننى سأكون معك أنت!!

ردت فى حدة.

رد فى ابتسامة ساخرة:

- لم تكن هذه طريقتك فى الرد على كلامى.. على ما.. أذكر. هل أنت خائفة؟

قالت فى الحال:

- ومم أخاف؟

أجابها:

- أن تجدى نفسك غير راغبة فى تركى، بعد أن نعود مرة أخرى معاً؟!

وهى تنظر إليه فى غضب:

- بالطبع لا!!

اختفت الابتسامة الساخرة من على وجهه وحلت محلها نظرة جادة.

رد قائلاً:

- حسناً. برهنى على ذلك. اعملى معى لستة أشهر وسوف أطلقك.

غمغمت فى ذهول:

- ماذا؟!!

كرر فى هدوء:

- سأطلقك. أليس هذا ما تريدين؟

ردت فى دهشة:

- طبعاً هذا ما أريده! لكن أى فائدة ستعود عليك من جراء عملى معك بخصوص ذلك؟

رد وقد تألقت زرقة عينيه:

- لنقل مثلاً إنها فرصة أتيحها لكِ لتثبتى إننى لم أعد أمثل لك شيئاً.

هذا المغرور المتعجرف الـ... توقف عقلها ولم تجد صفة تناسب هذا القدر الهائل من الغرور!

ردت فى حدة:

- بالطبع لم تعد تمثل لى أى شىء!

علّق فى هدوء وبرود:

- إذاً فليس لديك ما تخسرينه، أليس كذلك؟ سأتصل بك فيما بعد وأخبرك متى تستطيعين بدء العمل.

ردت وهى تنهض منصرفة:

- أنصحك أن تدخر وقتك ومجهودك. لن أعمل لك. أبداً! ولن أغير رأيى أبداً.. أبداً!

ثم انطلقت مسرعة.

«ليسا!»

ناداها وفى صوته رنة استمتاع غريبة. توقفت بعد برهة وتلفتت تنظر إليه.

- ألست فى حاجة لهذه؟

حقيبة مستحضرات التجميل التى سبق لها أ اشترتها. كان يمسك بها وقد وقف ينظر إلى صاحبتها فى سخرية

وثقة. عادت فى سرعة. اختطفتها من بين يديه ثم واصلت طيرانها هاربة من هذه الأجواء الملغومة.

***

وهل اشتريت ما تريدين من المدينة؟

سألتها ويلما ماسى وهى تنظر إليها وهى تدلف إلى غرفة الطعام الأنيقة ذات الأثاث العتيق.

غمغمت فى هدوء:

- أجل. شكراً.

ثم استقرت فى مقعدها إلى المائدة.

تابعت ويلما:

- ومتى سيعود رامسى إلى المنزل؟ ألم يقل لك؟ لقد لاحظت أنه أرسل إليك خطاباً هذا الصباح؟

- ربما لن يعود قبل شهر أو شهرين.

تطلعت إليها ويلما وغمغمت فى دهشة:

- ياه! هل سيغيب كل هذه المدة!

تدخل بيل ماسى بصوته الأجش معلقاً يقول:

- لكنك لا تبدين محبطة لغيابه الطويل هذا!

ثم تقدم نحو المائدة واحتل مكانه، شاغلاً معظم فراغ الحجرة، ليس فقط بحجمه الضخم، ولكن أيضاً بحضوره الطاغى. وبالنسبة لكل من لم يكن يعرفها فقد كان بيل ويلما مثل الطباشير والجبس.. ويلما بشوشة الوجه هادئة، وبيل نشيط ومنعم بالحيوية إلى درجة الوقاحة! لكن بالنسبة لمن يعرفهما حق المعرفة، فقد كانا مثل «الحلة وغطاها» كما يقولون، لا غنى لأحدهما عن الآخر.

كما كان بيل يشبه جانت، فى شبابه بالطبع وربما لهذا السبب ألفته بمجرد حضورها إلى هذه المزرعة وارتاحت إلى العمل مع هذه الأسرة.

الشىء المؤسف الوحيد هو أنها لم تكن مع جرانت، على نفس وفاق بيل مع ويلما!!

سألها:

- هل ستخرجين معى هذه العصرية يا فتاة؟ سألها بيل.

ردت فى هدوء:

- لن أستطيع الخروج اليوم فلدى بعض الأشغال فى المكتب ولابد من أنتهى منها.

قال:

- فلتذهب هذه الأشغال إلى الجحيم.

نهض بيل واقفاً فاختفى نصف ضوء الحجرة

- أنا وكلاى بحاجة للذهاب فى جولة إلى القطاع الشمالى هذه العصرية. من الأفضل أن تأتى معنا. سيكون أمامك وقت تنهين فيه هذه الأشغال.. خصوصاً ورامسى ليس هنا.

مر قرابة الشهر. سقطت الثلوج مبكراً قليلاً هذا العام، رحل طاقم تصوير الفيلم من المدينة ولم تعد تسمع شيئاً عن جرانت، ولا وصلها أى شىء عن عرضه للعمل لديه.

وذات مساء وبينما هى تدلف إلى المنزل وتغلق الباب خلفها جاءها صوت ويلما من الصالة يسألها فى اهتمام:

- أهذه أنت يا ليسا؟

أغلقت الباب خلفها وأجابتها:

- أجل.

صاحت ويلما فى حماس:

- لديك زائر!

لابد أنه رامسى!

كان هذا أول ما طرأ ببالها. لابد أنه قد أنهى أخيراً مفاوضاته التجارية حول البترول فى المكسيك وعاد من فوره إليها. الآن أصبحت فى أمان. ها هو رامسى قد عاد وباستطاعتها أن تحتمى بالتعلق به من عروض جرانت السخيفة.

عبرت الصالة وتوجهت إلى غرفة المعيشة فى ثقة وحماس.. لتجد نفسها وجهاً لوجه مع.. جرانت.

- ليسا!

صاح محيياً فى حماس، بينما تجمدت هى كالتمثال.

تدخلت ويلما قائلة فى عفوية:

- لقد أخبرنى السيد فيريس للتو أن أحدكما يعرف الآخر حق المعرفة من سنين. أليست مصادفة جميلة حقاً أن يمر علينا ويكتشف أنك هنا!

غمغمت ليسا أخيراً فى استسلام:

- حقاً! ويا لها من مصادفة!

ثم أضافت فى افتعال:

- أهلاً يا جرانت!

www.elromancia.com

صافحها قائلاً:

- أهلاً يا ليسا. تبدين دائماً جميلة.!

غمغمت فى غيظ: شكراً لك.

لوّحت ويلما بيديها قائلة فى سعادة:

- لقد اقترحت على السيد فيريس أن يبيت ليلته معنا. لقد قال لى أنه سيذهب إلى إحدى مناطق الشمال غداً ليتفقد أحد مواقع التصوير الجديدة. أليس هذا مثيراً؟ لقد أخبرته أن بيل أو كلاى يستطيع توصيله بالطائرة..

طبعاً بعد أن يكون قد «بات ليلته هنا». تجمدت ليسا فى مكانها مرة أخرى.

ثم غمغمت: أعتقد أن جرانت، أقصد السيد فيريس، يفكر فى أشياء أخرى غير الذهاب فى طائرة المزرعة.

أتاها صوته هادئاً يقول فى استمتاع:

- لكننى لا يمكننى طبعاً أن أرفض طلباً لسيدة فى مثل مكانة السيدة ماس.

ثم أردف فى ابتسامة ماكرة: أليس كذلك يا.. آنسة بنسون؟!

لا مفر

دق حذاؤها ذو الكعب العالى محدثاً رنيناً عالياً وهى تهبط فى بطء وتؤدة ذلك السلم الخشبى المؤدى إلى المكتبة حيث تقدم المشروبات للضيوف دائماً قبل تقديم العشاء، وعندما دلفت إلى المكتبة التفت ناحيتها رجلان. اتسعت عينا بيل ماسى فى إعجاب صريح وواضح، بينما لم يتحرك جرانت، لكنه استدار والتمعت عينيه نظرة ذات مغزى، مع شبح ابتسامة يحوم حول شفتيه.

- تعالى يا فتاة!

www.elromancia.com
مرمورية

صاح بيل بصوته الأجش المعهود فانتزعها من إحساسها المفاجئ بالهزيمة.

أومأ بيل برأسه ناحية الثلاجة وسألها فى خفة:

- هِهْ، ماذا تشربين؟

ردت فى هدوء:

- كولا من فضلك، أريدها مثلجة!

ارتفع حاجبا جرانت فى تساؤل صامت ساخر، لكن ليسا لم تأبه له. ليظن ما شاء. إنها بحاجة للاسترخاء وتهدئة أعصابها التى كاد ظهوره المفاجئ الليلة يقضى على تماسكها.

فتح بيل الثلاجة وأخرج زجاجة من الكولا ثم صبها فى كوب وناولها لها فى مرح مضيفاً فى خفة:

- إنها باردة ولا تحتاج إلى ثلج.

ثم التفت إلى جرانت وسأله:

- هل أحضر لك مشروباً آخر؟

رد جرانت فى أدب:

- لا، شكراً لك.

ولم تتحرك عيناه من على وجهها... بدا رجلاً فى سترة رسمية مثل مضيفه، لكن أقوى وأخطر بشعره الذى يشبه لبدة الأسد وقد تلألأ فى خفوت فى الضوء المنعكس عليه من المصابيح المتناثرة على المائدة، وبدت قامته الضخمة مستقرة فى اطمئنان على قدميه القويتين.

مرقت فى خيال ليسا صورة شاب بقدمين قويتين لهما أصابع تقبض على الرمال قبضاً. كان ساعتها منهكاً منطوياً على ذاته، واقفاً فى وجوم وقد ترامى بحر أزرق صافٍ من خلفه.. مرة أخرى عاودها ذلك الوجع.

- لقد كان جرانت يقول لى أنه عرض عليك عملاً معه.

كان بيل لا يزال واقفاً وظهره إليهما، بينما أنزلت ليسا كوبها من على شفتيها فى بطء وهى تجاهد لكيلا تغص فى الرشفة التى ارتشفتها منه...

جرانت! هكذا بلا ألقاب!! لقد فاز الرجل بموافقة بيك فى زمن قياسى!

ردت فى برود:

- وأنا كنت أقول له أن ذلك مستحيل.. مستحيل تماماً. لدى عمل بالفعل.

أجابها فى بساطة:

- لا تدعى هذا يمنعك من قبول عرضه.

إنه يزيد طينته بلة! كانت تعلم أنه يعاملها كابنته، لكن يبدو أن هذه الأبوة تمتد الآن لتشمل جرانت كذلك! مسكين رامسى! برغم أنه حفيده الوحيد، يبدو أنه لا يحتل لديه إلا مرتبة ثانية.

واصل «الأب» قائلاً:

- لن يكون لديك الكثير من العمل هنا فى الشتاء. بل إننى وويلما كنا نفكر فى الذهاب إلى هاواى، على الأقل حتى يحين موعد بيع العجول الصغيرة. باستطاعة كلاى، هذا هو رئيس العمال عندى، باستطاعته أن يقوم بالمطلوب هنا.

علّق جرانت فى نعومة الأفاعى:

- حسناً. لم يعد لديك حجة. ها هى العقبة الأخيرة تنزاح من طريقك.

لقد جعل الأمر يبدو وكأن رفضها سببه الوحيد القلق على مصلحة آل ماسى!!

واصل بيل قائلاً:

- بالطبع.. لم تعد لديها حجة.

يبدو أن الرجل غير مدرك بالمرة للتيارات التحتية التى تتلاطم فى الحجرة. الهادئة، كما يبدو كذلك وكأنما نسى كل شىء عن رامسى، وعمن يكون بالنسبة له.. ولها!!

ثم أضاف فى مرح:

- يمكنك طبعاً أن تعودى إلى هنا عندما ينتهى منك.. هذا إذا انتهى منك!

ورماها بنظرة العارف بحقائق الأمور.. شابان جميلان جمعتهما الأقدار معاً، ولا يحتاجان إلا إلى شىء من ساعدة مزارع عجوز حتى تكتمل سعادتهما. وزادت ويلما الأمر سوءاً.. أكثر وأكثر. فما كادت ليسا تتخلص من تلك الطريقة المتعالية التى أخذ الرجلان يقرران بها أمور حياتها بدلاً منها، إلا ودلفت ويلما إلى الحجرة وبدأت، بصوت فات أوانه من عشرين سنة على الأقل، تتحدث عن باربادرس، وتلك الصدف الجميلة التى جمعتهما معاً مرة أخرى؛ فى عالم آخر مختلف تماماً.

الصُدَف! حقاً! غمغمت ليسا فى نفسها فى سخرية. ربما كان أول لقاء لها فى ما سيبقى مجرد صدفة، لكن لقاء الليلة ليس صدفة أبداً.. أبداً..

سألتها ويلما:

- أمازال والدك فى الجزيرة؟

- بالقطع.

تدخل جرانت يجيب السؤال نيابة عنها، جاعلاً الأمر يبدو، ليس فقط على أنهما معرفة قديمة، بل وكأن والداها لن يمانعاً أبداً، بل ربما يفرحا، عندما تذهب ابنتهما الوحيدة إلى مجاهل «ساسكاتشيوان» الموحشة مع رجل بكل هذه الوسامة!!

لكن حقاً، لو علمت أمها لما نعت بالمرة. هكذا أدركت ليسا. فما كادت أمها تقبل، على مضض، زواجهما إلا وأصبحت أشد أنصار جرانت تأييداً له. حتى بعد انفصالهما، ظلت أمها متعاطفة للغاية مع زوج ابنتها.. ولم يكن باستطاعة ليسا، مهما قالت وحكت لها، أن تؤثر على ولاء أمها له، وظلت فى كل خطاباتها إلى ابنتها تتحدث عن امكانية عودة الوفاق بينهما مرة أخرى.

- فعلاً لازال فى الجزيرة! لقد زرتها هناك من شهر أو شهرين.

أخيراً قالت، وهزت رأسها فى دهشة فاصطدم ذراعها بذراع مديرة المنزل عفواً فاطارت قطعة من السمك الفيليه لطخت الأرض بدهنها اللزج.

قالت فجأة:

- عفواً.. لم أعلم أنك هنا.

لكن جرانت هو الذى أجابها، لا مديرة المنزل، قائلاً:

- إذاً فهناك الكثير الذى لا تعرفينه عنى، أليس كذلك؟ منذ متى لم نتقابل؟ عامين؟.

وأمسكت عيناه بعينيها مغيظاً، وكأنما يحاول جرجرتها إلى كشف سر زواجهما. لكنها تراجعت عند ذلك الحد ولم تقبل التحدى. سيكون هناك وقت،فيما بعد فيما بعد، للكلام عن أمر زواجهما، عن طريق المحامين طبعاً.

- ما اسم الفيلم الذى ستعمل به؟

لحسن حظها تدخل بيل فغير دفة الحديث.

- هل فكرتِ فيما عرضته عليكِ؟

سألها جرانت فى وقت لاحق من المساء، وكان بيل وويلما قد انصرفا وبقيت هى وحدها معه.

قالت:

- تقصد العمل؟ نعم فكرت. وأرفض.

- حقاً! كم يدهشنى ذلك!

لكنه بدا مستمتعاً بما يسمع، لا مندهشاً.

واصل قائلاً فى هدوء:

- لكن لدى انطباع بأنك ستفعلين أى شىء.. مقابل حصولك على الطلاق.

للحظة غمرتها ذكريات أيام السعادة، وكادت مقاومتها أن تضعف. كان لديهما أريكة مثل هذه، لا ليست مثل هذه. أريكتهما كانت مهترئة وقديمة. لا وثيرة مريحة جداً مثل هذه- لكنها كانت موضوعة أمام المدفأة حيث كانا يجلسان ليال طوال يتهامسان فى دفء وألفة ومودة.. وحب.. آه.. كل ذلك ضاع!

تراجعت قليلاً للخلف وسألته:

- ما الفائدة فى مناقشة موضوع الطلاق.

رد فى هدوء:

- معكِ حق، فيم يفيد؟ لو شئت الحقيقة فوضعنا الحالى مناسب لى تماماً. ولا أجد سبباً يدعونى لأن أعتقد إننى سأكون فى وضع أفضل لو حدث الطلاق.

غمغمت ليسا فى سخرية:

- صحيح!

شخص منفلت مثله لن يجد راحته فى الزواج!

أضاف فى بطء:

- لكن بالنسبة لك.. أعتقد أنك تتطلعين إلى الطلاق وتريدين حريتك، أليس كذلك؟

ردت على الفور:

- أجل.

- حسناً. أخبرينى لماذا تريدينها؟

ردت:

- لأستطيع الزواج من غيرك.

هكذا دفعة واحدة. ليس هناك وقت أفضل من هذا لتخبره بأمر ماسى.

التف جرانت ومد يده يلتقط كوب القهوة من على المنضدة إلى جواره، وكان هناك منذ ما يزيد على الساعة.

رد فى خفوت أجهد سمعها:

- وهذه المرة هل أنت على استعداد للزواج؟

أجابته فى حدة:

www.elromancia.com

- لقد كنت مستعدة تماماً للزواج عندما كنت فى السابعة عشرة! كل ما فى الأمر إننى اخترت الرجل الخطأ!!

تلتف ينظر إليها وسألها فى اهتمام:

- حقاً؟ إذا فقد انتهى كل شىء؟

ردت فى سرعة:

- تقصد بيننا؟ طبعاً! أم ماذا كنت تتوقع؟!

ساد الصمت بينهما لحظات ثم..

- منكِ أنتِ؟.. لا شىء.

وضع كوبه مرة أخرى ثم أضاف:

- ما شكله؟

ردت:

- مَنْ؟

قال لها:

- خطيبك.. أم يجب أن أقول عشـ...

- إياك أن تنطقها!!

رد فى هدوء:

- حسناً حسناً.. خطيبك.. ما شكله؟

وهى تكتم غيظها:

- إنه يعمل فى شركة بترول.. مدير تنفيذى.

أجابها ساخراً:

- لم أسألك عن وظيفته، بل عن شكله؟!

ثم انتظر جوابها.

بم تجيبه؟ هل تجيبه بالحقيقة، بأن رامسى على النقيض تماماً منه؟ داكن البشرة، وهو أشقر؛ بدين ممشوق القوام؛ رجل يدقق كثيراً ويحسب حساب كل شىء قبل أن يفعله أو يتورط فيه، بينما هو لا يحسب حساباً لشىء؟

واصل جرانت، لما رآها لاذت بالصمت:

- حسناً طالما عمل الرجل أهم من شكله وشخصيته. لكن طالما أنتِ راضية...

هز كتفيه فى سخرية ولم يكمل.

ردت فى غضب:

- طبعاً أنا راضية ومقتنعة تماماً به!!

رد فى سرعة:

www.elromancia.com

- حسناً إذاً اعملى معى لثلاثة أشهر، لا ستة، وسوف أمنحك ورقة طلاقك. على كلٍّ. ما الذى لديك لتخسريه؟

ردت فى حدة:

- لا شىء. لكننى لا أستسلم للابتزاز!!

رد فى دهشة حقيقية:

- ابتزاز!! ومن الذى ذكر الابتزاز؟! إننى أعرض عليك طلاقاً نظيفاً متحضراً فى نهاية ثلاثة أشهر من العمل معى كسكرتيرة. لن تكون هناك أية مشاكل، ولن تتبقى بيننا أية صلات قد تزعج حبيب القلب رامسى..

كيف عرف اسمه؟! لابد أنه سمع اسمه من بيل.

واصل فى برود:

- إنها مسألة شغل.. لا أكثر ولا أقل.

ظل يتطلع إليها دون أن يتحرك من مكانه، وملامح وجهه، بما ران عليها من جدية، تنبئ بعكس ما يطفو على نبراته الخفيفة. إنه يدفعها فعالاً لاتخاذ موقف معين يناسب أغراضه هو، لكن أى موقف؟ لم تكن تدرى.

بكل تأكيد ليس العمل هو المقصود بكل هذا اللف والدوران- باستطاعته أن يجلب سكرتيرة أخرى من أى

مكان- ربما يحاول أن يضغط على مورجان فيل، لسبب أو لآخر. أليست مورجان هى حبيبة القلب التى باع ليسا من أجلها؟! لن تعرف ما لم يخبرها. ثم هناك رامسى الذى يجب أن تحسب حسابه فى كل هذا.

- يدهشنى أنك لازلتِ مترددة.

قطع أفكارها فى برود يغيظها، وواصل:

- بكل تأكيد لست خائفة من الهزيمة أمامى فى نهاية المطاف؟

صاحت فى حدة:

- بالقطع لا! لا تغتر إلى هذه الدرجة بوسامتك!

توقفت لحظة عن الكلام وقد غلبها انفعالها فلم تستطع أن تكمل ثورتها عليه.

ظل يتطلع إليها فى سخرية وتحد لحظات دون أن ينبس بحرف.

أخيراً أضافت فى هدوء مصطنع:

- لتكن متيقناً من أن أى شىء تفعله، أى شىء، يمكنه أن يؤثر علىَّ بالمرة. أرجو أن تعى ذلك جيداً.

تطلع إليها لحظات عن صمت وقد تلاشت نظرات السخرية والثقة من عينيه.

ثم صفق كفيه قائلاً:

- رائع! لقد أثبت لى وجهة نظرك ببراعة. طالما لا أعنيك ولا أمثل شيئاً بالنسبة لك، لماذا إذاً لا تنتهزين هذه الفرصة وتعملين معى، تعلمين إننى أعرض عليك عملاً جيداً؟

عندما دلفت إلى غرفة المعيشة فى الصباح وجدته هناك. يسبقها دائماً بخطوة، كعادته!

بادرها فى لطف:

- هل أصب لك فنجاناً من القهوة؟

غمغمت فى هدوء:

- أجل من فضلك.

صب لها ولنفسه فنجانين ثم أشار لها بالجلوس.

جلست على المقعد المواجه له تحتسى قهوتها فى صمت. وقد التصقت نظراتها بالسجاده الشيرازية المبسوطة على أرضية الغرفة، تلوذ بزخارفها من وهج عينيه.

- والآن. أعتقد أن لديك ما تقولينه لى، أليس كذلك؟

سألها فى هدوء دون أن يحول نظراته من على وجهها.

رفعت رأسها بصعوبة وأجابته فى تماسك من على وجهها.

- أجل. لقد.. لقد توصلت إلى قرار.

كانت قد قضت ليلة عصيبة تقلب فيها أفكارها ألف ألف مرة، لكنها لم تصل إلى قرار. لقد وجدت نفسها ببساطة مضطرة إلى قبول السير فى الطريق الذى راح جرانت يدفعها إليه دفعاً.

- أعتقد أن إجابتك ستكون حاسمة.

ردت فى حدة:

- سأعمل لديك.. لكن لا تطلب منى أى شىء آخر!

سألها فى ابتسامة انتفخت زهواً:

- وهل طلبت منك أبداً! أى شىء آخر؟!

www.elromancia.com

الأمـــل

- ممتاز، اقطع!

انطلق صوت المخرج المساعد الشاب ورمى نظرة سريعة تجاه نوريس بوتر، ليتأكد من صحة أمره.

ثم أضاف:

- حسناً، راحة للكل. سنبدأ مرة أخرى عند الفجر!

- يا إلهى! ألا ترحمون؟!

زمجر بها ى سره البطل وهو يمرق من أمام ليسا فى

سرعة ويرميها بنظرات ضجر وتوسل. لعله يعتقد أن لها تأثيراً على جرانت؟!! إذاً لخاب ظنه، فجرانت سيد نفسه، ولئن كان قد شبه طاقم التصوير، أثناء كلامه مع بيل ماسى، بالجيش، فإن ما لم يذكره له هو أنه عازم على يكون القائد الوحيد لهذا الجيش!

نهضت ليسا من كرسيها وتمطت تفرد بدنها الذى كان قد تجمد من طول الجلوس ومن شدة البرد، وحمدت الله أن هناك قوانين تنظيم العمل. فحتى جرانت نفسه لا يستطيع تجاهل القاعدة التى تفرض حصول الفنيين على فترة راحة واحدة على الأقل بين الغداء والعشاء، وبالتالى فقد استفادوا جميعاً من توفر بضع دقائق يأوون فيها إلى عربة الأطعمة وينعمون بشىء من الدفء.

- يا إلهى! تكاد تتجمدين من البرد يا ليسا!

كان الموكب الصغير الذى يصحب نوريس أينما ذاهب يمر عليها الآن وظهرت من مؤخرته فتاة صغيرة وألقت الجملة نحوها فى دهشة.

ردت ليسا فى إرهاق:

- معك حق!

وبرغم أطنان الملابس التى كانت الفتاة ترتديها، تعرفت عليها ليسا بسهولة، إنها ساندى فتاة التواصل.

- إذاً تعالى فتناول مشروباً دافئاً.

وأومأت لها ساندى تجاه مقطورة نوريس الذى كان بابها موارباً تنبعث من خلفه أضواء توحى بالدفء والدعة، وحيث بدأ أفراد الطاقم يتقاطرون عليها.

لوحت لها ليسا بيدها قائلة:

- لا أستطيع، فلدى هذه الملحوظات ويجب أن أكتبها على الآلة. جرانت يريدها معه الليلة على الطائرة مع المشاهد الابتدائية.

ردت ساندى تحاول إقناعها:

- سيكون أمامك متسع من الوقت، تعالى واستدفئ قليلاً ثم سنذهب سوياً إلى العشة». أنا أيضاً ورائى عمل لابد أن أنتهى منه.

هزت ليسا رأسها فى استسلام وقالت:

- حسناً.

وطوت كرسيها وأستدته إلى جدار مقطورة نوريس. لم يكن يروق لها أن تعود إلى «العشة» وحدها. و «العِشَّة» هى

ذلك الاسم الذى كانوا يطلقونه على المقطورة التى كانت تبينت فيها هى وساندى وفتاة الماكياج وكذلك الممثلة المساعدة التى تأتى فى أيام معينة للتصوير. ستكون العشة دافئة ولا شك، لكنها ستكون موحشة ومنعزلة.

لقد أصر جرانت- جرانت مرة أخرى؟!! على أن توضع بعيداً قليلاً عن بقية المقطورات التى يبيت فيها الذكور.. وبالتالى فقد كانت هذه العشة قريبة من صفوف أشجار الصنوبر بأشباحها السوداء الواقفة فى جمود مع حلول المساء بأسفل التل وفيما وراء موقع التصوير الطبيعى، وكانت كلما تقع عيناها على هذه الأشجار، تحس بالرعب من انعزالها ووحشتها الرهيبة.

صحيح أنه كان بها دببة وذئاب، لكن لم يكن بها أى شىء آخر على مسافة عدة أميال باستثناء مجموعة المقطورات وموضع التصوير بديكوراته الطبيعية.

حسناً، فلتتأخر قليلاً مع ساندى وليذهبا سوياً إلى العشة بدلاً من العودة بمفردها.

خلعت حذاءها ودلفت إلى المقطورة التى كانت تعج بالناس، واصطدم بها شاب صغير فى يده كوب به مشروب ساخن.

بادرها قائلاً فى خفة:

- أهلاً! أنا ديفيد هاموند. اشربى شيئاً ساخناً.

تعرفت عليه ليسا على الفور، إنه المخرج المساعد الشاب الذى أمر بالراحة.

سألته وهى تنظر فى شك إلى الكوب:

- ما هذا؟

رد فى سرعة:

- قهوة بالحليب.

ابتسمت له فى رقة فملأ كوباً من البراد الموضوع بجواره وناولها قائلاً:

- هيا، اشربى واستدفئى..

شكرته فى رقة.

صمت لحظات يتأملها ثم أضاف فى حماس:

- أنت ليسا، أليس كذلك؟

- سكرتيرة جرانت. نحن لا نراك كثيراً.

أجابته فى خفة:

- صحيح، ومعك حق فأنتم لا ترونى كثيراً!

كان جرانت يبقيها ملازمة له طوال الوقت ولا يرحمها من ملاحظاته وتعليقاته الكثيرة التى يجب عليها أن تدونها جميعاً، حرفاً بحرف!

تبسم الشاب فى عذوبة وقال:

- إذن هذه فرصة عظيمة لأتعرف عليك أكثر. والآن، حدثينى عن نفسك.

ردت ابتسامته بابتسامة رقيقة وغمغمت:

- ليس هناك الكثير لأتكلم معك عنه.

لكنه أصر قائلاً:

- لا بل يوجد الكثير! لن يقابل المرء كل يوم واحدة من أفراد فريق الإنتاج تستحق أن تقف أمام الكاميرا لا خلفها.

ردت ضاحكة:

- لا، هذا كثيراً إنها مجاملة ولا شك!

أجابها الشاب فى حماس:

- إننى أتكلم بصدق وجهك له قسمات فنانة.. تعالى معى وأنا أصنع منك نجمة شهيرة!

www.elromancia.com

- ليسا!

اخترق صوت جرانت أجواء المقطورة فانزوت رعباً منه كل الأصوات وساد سكون غريب.

- هل كتبت ملاحظاتى على الآلة الكاتبة؟

سألها فى صرامة. كان يقف على الباب ويرمقها بنظرات نارية.

غمغمت فى ارتباك:

- فى الحق.. الحقيقة، ليس بعد.

ألا يتركها تستمتع بوقتها قليلاً؟!

فوجئت بيده تنتزع منها كوب القهوة فى سهولة وقوة.

- إذن، عليك الذهاب فوراً إلى مقطورتك واكتبيها الآن. الطائرة فى الانتظار.

بدا عليها التردد قليلاً فأضاف آمراً فى صرامة:

- الآن يا ليسا!

كيف يجرؤ هذا المخلوق على توجيه الأوامر إليها هكذا وكأنه قد امتلكها!! كرهت أن تذعن له، لكن لم يكن لديها خيار آخر. وكأنما أحسوا بغضبه، تراجع من كانوا يحيطون

بهما إلى الخلف وأخلوا طريقهما إلى باب المقطورة.

أسرعت ترتدى معطفها وحذاءها وكان آخر ما رأته عيناها فى المقطورة وهى تتجرجر وراء جرانت، وجه ذلك الشاب وقد أبيض وشحب لونه رعباً.

صاحت به، عندما صارا بالخارج وحدهما:

- اتركنى! يمكننى الاعتناء بأمورى!

رد فى سخرية:

- أنا متأكد من ذلك! بل إننى رأيت للتو كيف «تفعلين» ذلك! لكن كل ما يهمنى الآن هو أن تنتهى من كتابة ملحوظاتى على الآلة الكاتبة على وجه السرعة.

ثم دفعها دفعاً إلى مقطورتها.

تحسست مزلاج الباب وغمغمت فى ضجر:

- سأكتبها وأحضرها لك عندما انتهى منها.

لكنه رد فى برود:

- بل سأنتظرك حتى تنتهين.

ومال بجذعه للأمام ثم دفع الباب ففتحه ودفعها للداخل، بينما ظل مستنداً إلى الباب يرمقها بنظرات باردة أبرد من

الثلوج الذى تغلف المكان من حولهم.

كانا قد جلبا البرد إلى داخل المقطورة، لكن لم يكن ذلك هو السبب الذى جعل أصابعها لا تقدر على الكتابة بسرعة، وحاولت عدة مرات دون جدوى أن تزيد من سرعتها قليلاً.

ربما كان إحساسها بوجود جرانت واقفاً على رأسها حتى تنتهى بهذه الطريقة المربكة، هو ما زاد من توترها وارتباك أصابعها. كانت ترى انعكاس صورته، وهو يقف مستنداً إلى الباب، فى السطح اللامع للخريطة البيائية البلاستيكية المعلقة على الحائط أمامها.

بعد عناء ومحاولات مضنية، انتهت أخيراً.

نهضت واقفة وقالت له دون أن تنظر إليه:

- لقد انتهت.

وناولته الأوراق التى كتبتها بعد أن وضعتها داخل مظروف كبير.

رد قائلاً:

- خذى.

وناولها معطفها.

- أتريدنى أن أجئ معك؟!

رد فى برود قاتل:

- لا.

أحست بشحنة لاسعة من الارتياح النفسى تسرى فى عروقها. من الواضح أن نوريس لن يطير مهما، وقضاؤهما عدة ساعات جيئة وذهاباً مع جرانت وحدهما فى الطائرة، أكبر بكثير مما تستطيع أعصابها تحمله!!

أضاف فى هدوء:

- بل أريدك أن تذهبى إلى صالة الطعام الآن.

حاولت التذمر فأردف فى سرعة وحزم:

- بل ستذهبين. والآن! كلى شيئاً ليخفف آثار هذه القهوة التى شربتيها لتظلى ساهرة طوال الليل ولا تستطيعين الاستيقاظ فى الصباح الباكر..

ردت محتجة:

- إننى لم أتناول إلا بضعة رشفات!

رد ساخراً:

- حقاً؟! لكن لم يبد ذلك واضحاً عليك عندما بدأت

تكتبين على الآلة الكاتبة!

ردت فى حدة:

- ليس من حقك أن تكلمنى بهذه اللهجة!

أجابها فى حزم: لكن من حقى ألا تسهر سكرتيرتى طوال الليل وتتأخر عن عملها فى الصباح من قلة النوم، وكل هذا لأنها تريد الاستمتاع بمغازلات شاب صغير تافه!

ردت فى غضب ممزوج بالدهشة:

- لن أسهر، وما كنت أستمتع بالمغازلات!!

هز رأسه فى تفكير ثم قال فى هدوء:

- حسناً. لكن يبدو أنك تتوقعين منى بعض التفصيل.

غمغمت فى دهشة: تفصيل؟! ماذا تقصد؟!

أجابها فى برود:

- إذاً دعينى أشرح لك. كل أفراد الطاقم يعون جيداً أن العمل أولاً ثم الراحة والمتعة بعد ذلك.. ومع ذلك فأنت الوحيدة التى تظن عكس ذلك!

الآن فهمت مقصده. أكل هذا لأنها أخرت الكتابة قليلاً وذهبت لتناول شيئاً من شراب دافىء يعيد إليها شيئاً من

حيويتها؟!

ردت فى إحباط:

- ونوريس؟ وساندى؟ لقد كانا هناك..

- أم لم تلاحظ وجودهما؟

أجابها فى صرامة مخيفة:

- ليس من شأنك ما يفعله نوريس. أما بخصوص ساندى وذلك الشاب «الوسيم» فلى معها كلام آخر فيما بعد.

صمت لحظة ثم أضاف فى حزم، وهو يضغط على حروفه:

- لن أسمح أبداً لأى شىء، هل تسمعيننى جيداً، لن أسمح لأى شىء مهما كان... بأن يؤخر إنتاج هذا الفيلم فى موعده المحدد، إن لم يكن قبله.

آه! هكذا!! طبعاً وخصوصاً لن تسمح كذلك بأن ينزلق بعض أفراد الطاقم فى الاستجابة لإغراء الراحة والدفء قبل معاودة العمل مساءًا فى الاستعدادات اللازمة لتصوير مشاهد اليوم التالى.. غمغمت ليسا فى نفسها فى ضيق. لكنها كانت مخطئة فى ذلك، إلى حد ما. فالتأخير، حتى ولو بعض دقائق فى ميعاد إقلاع الطائرة، يكلف الكثير من المال.

تمتمت فى إحباط:

- حسناً. أنا آسفة.

ولو كانت تظن حينما تأسفت له أن اعتذارها سيضع فارقاً معه، فهى بلا شك مخطئة. ظل يرمقها فى صمت لبضع لحظات، ثم التقط معطفها.

ناوله لها قائلاً:

- هيا ارتديه من فضلك!

صاحت فى دهشة: لا!

لقد اعتذرت له. فماذا يريد منها أكثر من ذلك؟

أضافت: سأنتظر حتى تعود ساندى وأذهب معها إلى صالة الطعام فيما بعد.

رد فى صرامة:

- بل ستأتين معى الآن. لا أحب تركك هنا وحدك.

ولو كانت تحب أن يتركها بمفردها فى شقتهما فى لندن فى كل تلك المرات التى كان يغيب فيها مطارداً مجداً سينمائياً جديداً ويتركها فريسة لخيالاتها.

سألته فى حدة:

- لماذا؟! أتخشى أن أكون قد خبأت كوباً من القهوة فى حقيبتى أو تحت وسادتى!!

رد بوجه خال من أى تعبيرات:

- ربما. كل ما فى الأمر إننى لا أريد تركك هنا بمفردك.

اصطحبها إلى المبنى سابق التجهيز الذى كان مخصصاً كصالة للطعام، ووقع أقدامهما يتردد صداه فى المكان الذى غطت الثلوج أرضيته فى كثافة.

عندما وصلا إلى باب الصالة تركها بعد أن تمنى لها ليلة طيبة فى اقتضاب.

بعدها بدقائق كانت تجلس بمفردها إلى المائدة وتتناول طبقها الرئيسى مع بعض الحلويات فى صينية من البلاستيك، أخذت تلتقم طعامها فى شرود وتناهى إلى مسامعها ضوضاء طائرته وهى تقلع مغادرة المكان.

غادر كما ستغادر هى فى نهاية الأسبوع لتتوجه إلى أقصى الجنوب ميممة شطر ما سيفيّ.

هكذا ظلت تذكّر نفسها كل يوم. كذلك ما إن تحل عطلة نهاية هذا الأسبوع إلا وتكون قد قطعت ثلث الطريق إلى حريتها. ستكون قد أكملت ثلث المدة المتفق عليها للعمل

كسكرتيرة لجرانت؛ وثلث ذلك الشرط الذى اشترطه عليها لكى يمنحها حريتها. وخلال شهرين سيبدأن فى اتخاذ إجراءات الطلاق.. دون مشاكل أو مسائل معلقة. لقد وعدها بذلك، وهى أدرى الناس به: طالما وعد فسيوفى بوعده. لكن ما لا تستطيع فهمه الآن هو أن ذلك الشىء الذى كانت تسعى للحصول عليه بكل حماس، قد بدا الآن وكأنما بريقه فى عينيها!

- اعملى معى لمدة ثلاثة أشهر وأثبتى لى أنه لم يعد بداخلك شىء تجاهى!

إن ما كان يوماً ينبض حياة وحيوية قد قتله طول الوحدة وشدة الغيرة التى أثارها فى نفسها فى وقت بدا وكأن لديه متسع من الوقت لكل شىء وأى شىء.. إلا لها!

لقد تخلى عن كل شىء.. كل شىء فى سبيل تحقيق ذاته كنجم سينمائى، فى رغبة تكاد تصل إلى حد الجنون، بالوصول إلى القمة، تماماً كما كان وهو سائق سيارات سباق، وكما سيكون الآن.. منتجاً سينمائياً. أجل، لم يكن يساورها شبح من الشك فى ذلك. لقد كانت لديه النزعة والطموح والقسوة، لكن جانبه الآخر الذى لم يعرفه ولن يعرفه سواها، كان يفيض رقة وعطفاً وحناناً..

ذكرى الحاضر

- أوه! كم افتقدتك يا عزيزتى!

بادرها رامسى عندما عادت إلى ما سيفيئ، فى نهاية الأسبوع.

ابتسمت له فى هدوء وأجابته:

- أهلاً يا رامسى. وأنا أيضاً كنت أفتقدك.

كان بيل وويلما ماسى قد سافرا إلى هاواى وتركا المنزل فى عهدة مديرته وجيشها من الخادمات، بينما تولى «كلاى»

www.elromancia.com

أمر المزرعة. كانت الماشية ترقد فى حظائرها الضخمة فى دعة وهدوء، بينما كان بالكبائن الملحقة بالمنزل العمال الذى استأجرهم «كلاى» للقيام بأعمال الشتاء.

ولم تتأخر معه ليسا كثيراً. بل صعدت إلى غرفتها لتبدل ثيابها ولتنعم بشىء من الرفاهية تعوض به أيام الضنا التى عاشتها فى موقع التصوير. عندما نزلت إلى غرفة المعيشة بعدها بقليل وجدت رامسى فى انتظارها وقد أحضر لها ساندويتشاً من سلطة الدجاج مع كوب ساخن من الشاى.

بادرها قائلاً:

لا أدرى إن كانت تلك فكرة صائبة.

سألته فى صوت حالم وهى تلقى بجسدها المنهك على الكرسى الوثير تسترخى تماماً؟

- ماذا؟

أجابها فى شرود:

- ذلك الاتفاق بالعمل لثلاثة أشهر عنده.

اعتدل فى جلستها فى توتر وقد بدأ قلقها يتصاعد.

غمغمت فى توتر:

- لكن لماذا الآن؟ لقد وافقت عليه بالفعل!

زفر فى ضيق قائلاً:

- لا أتذكر إننى كانت أمامى خيارات كثيرة. لقد كان كل شىء قد تم وانتهى عندما عدتُ من المكسيك.. على ما أتذكر.

سألته فى قلق:

- وهل كان أمامنا خيار آخر؟

وانتظرت جوابه.

كانت تتمنى لو أجابها بأنه قد قرر أن يتمرد على هذا الأتفاق وأنه سوف يقف إلى جوارها حتى تحصل على الطلاق من جرانت بقوة القانون.. وكانت تتمنى لو..

لكنه أشاح بيديه فى يأس قائلاً:

- معك حق. لكن لو حاول هذا الشخص أن..!

أجابته فى سرعة:

- لكنه لم يفعل! ولا يبدو أنه سيحاول.

إن جرانت لم يكن يعرها اهتمامه بالمرة، هى من بين أفراد الطاقم جميعاً! طبعاً باستثناء اتهامه المتكرر لها بالإهمال فى عملها!

www.elromancia.com

يبدو أنه لم تتبقّ لديه ذكريات لتطارده. ذكريات الماضى السعيد، تلك الشهور والسنين التى عاشاها قريبين أحدهما من الآخر لدرجة أن مجرد نظرة متبادلة تغنى عن كلام كثير.. كثير!

لكن لقد ضاع كل ذلك.. ضاع. ذهب مع الريح.. لقد انتهى كله من أول يوم أولته فيه ظهرها وانصرفت دون أن تعقب.

أجبرت نفسها على الإنصات لما كان رامسى يقوله عن خططه لقضاء عطلة نهاية الأسبوع.

- آل ليوتشك سيقيمون حفل استقبال ليلة الغد. لقد أخبرتهم أننا سنذهب إليهم بالسيارة.. هذا لو لم تكونى متعبة جداً..

وتطلع إليها منتظراً راجياً..

- لا. لا مشكلة فى ذلك.

وكان ذلك هو المشكلة ذاتها!

* * *

- والآن هل لازلت تذكرين ما أخبرتك به بخصوص آل ليوتشك؟

سألها رامسى. وهما يصعدان بالسيارة مطلعاً خفيفاً وتلألأت أضواء كاليارى على المنخفض الطبيعى المنبسط من أمامهما.

أجابته فى ملل:

- أجل لازلت أتذكر كل شىء.

ثم زفرت فى ضيق وأضافت:

- بَدّ ليوتشك هو رئيسك فى العمل. وإيرما هى زوجته، ولهما ثلاثة أطفال.. كلهم أذكياء، وفى غاية الجمال! هل استرحت الآن؟!

رد دون أن ينتبه لنبرات السخرية فى صوتها:

- عظيم! لكن بَدّ وإيرما متزمتان قليلاً، لذا فلا يجب أن نذكر أمامهما أى شىء عن..

ثم هز كتفيه وأضاف:

- حسناً، عن ذلك الاتفاق الذى بيننا.. لكن إن أردت الكلام معهما عن «فيريس» فلا بأس.

- ماذا؟

رمتها مذهولة فى وجهه.

لم تكن تصدق أذنيها. إنه يجعل ارتباطها به واتفاقها معه على الزواج عاراً يجب مداراته بكل سبيل، لكنه لا يمانع فى أن نقول لكل الناس أنها متزوجة!!

أسرع يشرح لها قائلاً:

- لست أقصد أن تخبرينهم بأنك لازلت متزوجة من ذلك الرجل، لكن ربما تودين أن تذكرى أمامهم أنك تعملين معه الآن كسكرتيره. سيروق ذلك لإيما كثيراً. إنها تتردد على السينما كثيراً وتحب هذه الأشياء. اتفقنا؟؟

ثم تألق وجهه فجأة وهو يواصل قائلاً فى حرارة:

- ربما تستطيعين دعوتها يوماً إلى موقع التصوير، لكن لا. لا أظنها سترغب فى السفر كل هذه المسافة. لكن يمكنك تسريب بعض الأخبار عن حياته الخاصة. وليس من الضرورى أن تخبريها كيف عرفتِ ذلك.

أدهشها كل هذا القدر المتعاظم من تبلد الأحاسيس الذى يتمتع به ذلك الرجل! صحيح أنها كانت تعلم أنه عبد مصلحته، لكن ليس إلى درجة استغلال شهرة رجل كان يخبرها منذ سويعات بأنه لا يطيقه!!

غمغمت فى ضيق وحسرة:

- سأحاول.

* * *

- جوان! يا جوان!

بعدها بقليل كانت إيرما ليوتشك تختلس ليسا من ذراع رامسى وتجرجرها وراءها تجاه مجموعة من النساء «تكوَّمْنَ» فى أحد أركان صالة المنزل الواسعة.

غمزت امرأة أخرى فى مثل عمرها تقريباً، قائلة:

- جوان! تعالى تعرَّفى عل ليسا. إنها تعمل عند جرانت فيريس، هل تعرفينه يا عزيزتى؟ ذلك النجم السينمائى الوسيم، تخيلى!!

وبدءاً فى تلك اللحظة، لم ترد أى واحدة منهن الكلام عن شىء، إلا عن جرانت فيريس! كيف يبدو، كيف يتعامل مع الناس خارج الشاشة، بل وحتى ما الذى يأكله على الفطور! أجل أجل. بل إن إحداهن سألتها إن كان قد تعلق بها...!

وربما كان ذلك هو الذى جعلها تصد رامسى عندما حاول التودد إليها عندما عادا إلى المنزل قرب الفجر.

قالت له فى برود:

- أرجوك يا رامسى. أنا متعبة جداً وأريد أن أرتاح.

سألها فى حدة:

- وما السبب؟ لقد كنت منذ قليل على ما يرام!

ردت فى يأس:

- لا أدرى لماذا!

دق جرس الهاتف فى الطابق الأرضى، واستنتج جزء فى عقلها أن بشائر الفجر قد لاحت. صمت الهاتف. لابد أن مارى وفتياتها قد استيقظن وتولت إحداهن أمر الرد على الهاتف.

سألها فى برود:

- كل هذا بسببه، أليس كذلك؟

بدت الدهشة على ملامحها فتابع فى مرارة:

- لا تظنى إننى غبى حتى أننى لم ألاحظ كم تغيرتِ منذ عودتك من ذلك الفيلم الملعون. يا إلهى! وأنا الذى رحت أحكى لِبَدّ كيف سنتزوج عن قريب!!

تلقت ليسا كلمته وأجابته فى سرعة:

- وهذا صحيح! كلها شهور قليلة وأصبح حرة.

تطلع إليها فى برود ورد قائلاً:

- حقاً؟ أشك فى ذلك. قد تحصلين على الطلاق منه،

لكننى لا أظن أنك ستستطيعين إخراجه من حياتك. اسمعى يا ليسا، أنا لم أعتد أن آكل فضلات غيرى. أنا أحذرك، ستجدين نفسك يوماً مضطرة للاختيار بينى وبينه.

ثم رمقها فى برود للحظات.. ثم استدار وانصرف يجر أذيال الخيبة.

قد لا يكون جرانت معهما الآن فى هذا المنزل الواسع.. لكنه كان يقوم بتدمير حياتها ببراعة منقطعة النظير.. وللمرة الثانية!

عندما نزلت ليسا فى الصباح التالى إلى غرفة المعيشة، كان رامسى هناك بالفعل، وقد تناثرت حوله الصفحات الاقتصادية فى صحف الأحد.

تبعتها مديرة المنزل فى صمت إلى الغرفة ثم سألتها:

- هل أعد لك الفطور؟

رسمت ليسا ابتسامة على شفتيها وردت قائلة فى إعياء:

- لا، شكراً لك يا مارى. لكن إن كانت غلاية القهوة على النار فأعدى لى كوباً. وإلا فسأنتظر الغداء.

كانت قد قررت ألا تستثير عداوة مارى، كما كانت قد قررت أن تحاول إعادة الأمور مع رامسى إلى مسارها

www.romancia.com

الصحيح.. لقد كانت بلهاء غبية حقاً ليلة الأمس إنها مع رامسى فى أمان تام.

- وماذا عنه؟ هل سيبقى حتى الغداء؟

سألتها مارى فى تجهم.

غمغمت ليسا فى حدة:

- رامسى؟ طبعاً..

ثم التفت إليه تسأله:

- طبعاً ستبقى هنا حتى الغداء، أليس كذلك يا عزيزى؟

أجابتها مارى:

- لم أكن أسألك عنه، بل عن الآخر. ذلك الرجل الموجود فى المكتبة.

احتلت الحيرة وجه ليسا والتفت إلى رامسى تسأله:

- الرجل الآخر؟ من؟ عمن تتكلم؟

نهض فى بطء بينما أحست هى برجفة باردة تجتاحها.

- فيريس.

أجابها فى برود، وتابع:

- لقد وصل إلى هنا عند الفجر. يريدك أن تعودى معه. هل ستعودين معه؟

وصمت يتطلع إليها بعينين جامدتين كالصخر. ها هو مستقبلها كله يتوقف على إجابتها.

خطت نحوه وقالت فى توسل:

- رامسى.. عزيزى! كن عاقلاً يا حبيبى! أنا أعمل لديه، وهذا هو كل ما فى الأمر!

تطلع إليها فى قسوة لحظات ثم رد قائلاً:

- حقاً؟ لقد قلت لك بالأمس أنك ستجدين نفسك مضطرة للاختيار بينى وبينه. اتصلى بى عندما تختارين، هذا إن لم يكن الأوان قد فات بالفعل!

ثم استدار فى عزة وكبرياء لم تألفهما فيه من قبله، وتجاوزها ثم خرج من الباب دون أن ينبس بحرف آخر.

تجاهلت ليسا مارى وهرولت إلى المكتبة وانفجرت فى الباب.

- كيف تجرؤ على أن تفعل هذا بى!

كانت دفقة الغضب التى اجتاحتها قد أوصلتها إلى هناك، لكن عندما وقعت عيناها عليه توقف الغضب وحل محله

تقلص مألوف فى عضلات معدتها، وحاول السيطرة على نفسها فى استماتة.

- أفعل بك ماذا؟

كان باسماً هادئاً، وقد تألقت أسنانه مقابل لحيته السوداء التى تركها تنمو حتى تتناسب مع الدور الذى سيلعبه فى فيلمه.

ما إن استعادت أنفاسها حتى انفجرت فيه صائحة:

- كيف تجرؤ على تدمير حياتى على هذا النحو!

غمغم فى دهشة مصطنعة:

- أدمر حياتك! إنك تطرينني!

وضع الكتاب الذى كان يطالعه مكانه فى هدوء واستدار ينظر إليها، كان لا يزال يبتسم.

- لا أظن أن تأثيرى عليك كبير إلى هذه الدرجة!

صاحت فيه فى غضب هائل:

- هراء!!

امتلأ المكان بهدير محرك سيارة أدير لتوه.. هل هو رامسى؟

رفع حاجبه فى سخرية ورد قائلاً:

- إذاً لماذا كل هذا الغضب!

كان قد سمع صوت السيارة، كما سمعته.

أضاف فى هدوء:

- أنا متأكد أنك لو جريت خلفه لأمكنك إقناعه بالعودة.

- ليس لراسى شأن بهذا!

سألها باسماً:

- حقاً؟

ردت فى غضب شديد:

- أجل حقاً. كل ما أريد معرفته الآن هو لماذا تضطهدنى!

رد فى خفة وتلذذ:

- أضطهدك؟ كيف هذا يا ليسا يا عزيزتى.. ليست أضطهدك. أنا محتاج إليك فى الموقع، لقد حدث تغير فى جدول العمل وأريدك أن تعودى معى بالطائرة. لقد اتصلت بك فى وقت سابق. ألم تصلك منى رسالة؟

لا، لم يصلها منه رسائل، لكنها سمعت فعلاً رنين الهاتف.

ردت فى برود:

www.elromancia.com

- إذاً فللأسف قد ضيعت وقتك دون فائدة. سأعود بالسيارة وأتركها فى روزلين.

رد فى صرامة:

- لكننى أقول لك الآن أنك ستعودين معى فى الطائرة!

* * *

كانت كابينة الطائرة دافئة وأحست ليسا بالارتياح لوجودها فى طائرة صغيرة كهذه، فارتخت فى مقعدها إلى جوار جرانت الذى تولى القيادة، فلم يكن الطيار موجوداً..

بدا جرانت منشغلاً تماماً بالتركيز على لوحة العدادات وسرعة الهواء، وتجرأت ليسا واختلست نظرة إليه. لا تكاد تصدق أن هذا الرجل لا يزال زوجها!

حاولت أن تنظر إليه بموضوعية وكأنما تراه لأول مرة، لكن ذلك الاضطراب الذى أصاب دقات قلبها هو نفسه اضطراب قلب الفتاة الصغيرة التى كانتها عندما قابلته من زمن طويل طويل، على شاطىء غسلته أشعة بشمس استوائية. تراها ستتغلب على هذا الاضطراب يوماً؟

رامسى هو كل ما تريده؛ أجل إنها مقتنعة تماماً بذلك. صلب، يمكن الاعتماد عليه، وواضح وصريح؛ بل إن أمها

ستتقبل رامسى بسهولة كزوج لابنتها. على الأقل كانت ستفعل، فقط لو لم تكن قد قابلت جرانت أولاً.

كما أنها قد فقدت رامسى... لا، لم تفقده بعد... بل فقدته... لا ليس بعد.

راح عقلها يتردد بين الاثنين كبندول ساعة اختطت دقاته قلبها الثقيل. فلتته فقط هذه الأشهر الثلاثة الثقيلة الوطأة على نفسها، ولتذهبن له حينها وتصلح ما قد فسد. كم كان غباءاً منها ألا تحسم اختياراتها بالأمس! يا ليتها كانت قالت لرامسى أنها تحبه وأنها تتمنى لو حقق الزمن حبها له!!

واصلت الطائرة طيرانها فى خفة وانزلق علقل ليسا فى غمامة من النعاس بعد ليلتين لم تذق فيهما النوم، ورأت نفسها فى مطاردة مجنونة فى ضباب كيف ظل فيها صوتا جرانت ورامسى يناديانها، وكل منهما يطلب منها أن تختار.

«اختارى يا ليسا.. إما أنا أو جرانت»، واختارى يا ليسا.. إما أنا أو رامسى..

- ليسا. اربطى حزام مقعدك.

اخترق صوت جرانت، حقيقياً جامداً، حجب النعاس الذى لف عقلها، ليعيدها من جديد إلى عالم لفة ظلام خانق.

سألته، وهى تربط الحزام تلقائياً:

- لماذا؟

- لقد تكاثفت السحب، ولابد أننا قرب «روزلن». سأحاول الهبوط بالطائرة. خطر جداً أن نواصل الطيران إلى الموقع الليلة.

لقد جلبها من قَبْلُ حية، وها هما سيموتان معاً. كان خاطراً مأساوياً لكنها أحست بهدوء وطمأنينة عجيبين لذلك الخاطر. كان من المحتم أن تكون معه. إنه الحب الذى لا ينقضى أبداً، مهما حدث بينهما وأيا كان من يعترض طريقهما.

تطلعت إليه بنظرات تفيض بعواطف جياشة وهو يمسك بلجام الطائرة الجامحة وسط هذا السحاب الكثيف. غلبتها عواطفها، فظلت ثوان لا تستطيع النطق.

- آه.. كم أحبك يا جرانتا!

أخيراً قالتها بصوت مختنق.

تراه سمعها؟ أم لم يسمعها؟ لم يكن ثمة سبيل لتعرف، والأرض تظهر فجأة أمامهما تندفع نحوهما فى سرعة وغضب، نافضة عن نفسها أكوام الضباب التى راحت تطارد الطائرة التى نقرت الأرض بعجلاتها ثم انتفضت مرة أو مرتين ثم استقرت على الأرض فى اطمئنان وانزلقت فى

هدوء.

تلألأت أضواء عدة مصابيح خارج بيت ريفى قريب هرول أصحابه باتجاههما عبر الحقل.

- هل أنت على ما يرام؟

سألها سؤالاً ضاع أدراج الرياح مع اندفاع أصحاب المنزل إلى الطائرة التى فتحوا بابها ومدوا إليهما أيديهما.

- أجل، على ما يرام..

صاحت بها وسط صيحات «المنقذين» ونظراتهم الفاحصة التى سرعان ما تحولت إلى نظرات الدهشة ثم الإعجاب؛ لقد تعرَّفوا عليه، حتى فى هذه المنطقة النائية! ولم يفت ليسا رغم ذلك، تلك النظرة الفاحصة الحانية التى ومضت فى عينيه ثم اختفت بنفس سرعة وميضها.

كان برد الشمال قارصاً قاتلاً، لكن لم يكن هو السبب فى ذلك الحذر الذى لف ليسا وهى تجلس بعدها بقليل فى صمت فى منزل المزارع الذى قادهما إليه مع ابنيه..

- هل تظنين أنه لن يعتقد أننى حمقاء لو طلبت منه التوقيع على أوتوجراف؟

- ماذا؟

أفاقت ليسا من خردها فى جفول.

كانت ربة المنزل تنظر إلى كراسة ملقة فوق المنضدة ثم إلى جرانت، فى اشتياق ورجاء.

- لا: أنا واثقة أنه لن يرفض.

تراه سيظنها حمقاء لو خطت ناحيته الآن، لا لتطلب توقيعه على أوتوجراف، بل لتسأله إن كانت لتك الثوان المائة فى الطائرة محض خيال؟

- هذا لطف منك..

قالها جرانت للفلاح معتذراً فى رقة عن تلبية دعوته بالمبيت عندهما.

ورمى إليها ابتسامة أعادتها سنوات كثيرة كثيرة إلى الوراء، وأحست بأنها أكثر شباباً وأكثر جمالاً.

حجرتان لا حجرة واحدة. أجل.

لو كان قد سمعها وهى تعترف له بأنها لازالت تحبه وأنه لازال يحتل كل ذرة فى كيانها لما حجز لهما غرفتين فى الفندق الذى وصل إليه بعد قليل ليقضيا فيه ليلتهما!.

إنها زوجته وهى تعرفه جيدا.. كان سيطيح بأى احتجاج من جانبها، وما كان ليعبأ على الإطلاق بأى ظنون سيئة كان

موظف الاستقبال سيظنها، لو كان جرانت طلب منه أن يحجز لهما حجرة واحدة.. بدلاً من حجرتين.

- ادخل.

صاح جرانت بالطارق على بابه. كانت هى. لم يراود النوم جفنيها المرهقين، ولو لثانية.

- ألم تقل لى أنك اصطحبتنى من ماسيفيى لكى أدون ملاحظاتك العاجلة؟

بدت الدهشة على وجهه وهو يجيبها فى سخرية:

- ملاحظات؟ ألست متعبة؟ لم أكن أعلم إننى استأجرت أكفأ سكرتيرة على الأرض!!

صاحت به فى غضب جارف:

- كيف تجرؤ على قول ذلك لى؟!

- أخفض صوتك لكيلا يسمعنا نزلاء الفندق.

- فليسمع من يسمع! ما عاد يهمنى شىء.

فى ثوان كان قد أغلق الباب وأمسك بها فى قوة قائلاً:

- والآن، هل جئت حقاً إلى غرفتى لتدونى ملاحظاتى؟!

قبض الريح

- استيقظ أيها الرجل.

تعرفت ليسا على صوت موظف الاستقبال وهى مع جرانت فى غرفته فى فجر اليوم التالى.

واصل الرجل بصوته الأجش:

- لقد أوصيتنى أن أوقظكما فى الخامسة والنصف! لكن لا أحد يجيب فى الغرفة المجاورة!

وضع جرانت إصبعه على شفتيها هامساً:

- صه.

ثم علا صوته يجيب الرجل:

- حسناً. لقد استيقظت. شكراً لك. سأوقظها أنا بنفسى، لا تشغل بالك. أحضر سيارة أجرة لى، من فضلك، ممكن؟ لتوصيلى إلى مهبط الطائرات.

جاء صوته:

- لكن قد لا أجد سائقاً يرغب فى الاستيقاظ باكراً هكذا.

رد جرانت فى حدة:

- حاول فقط يا أخى! ممكن؟

لم يجبه الرجل وإنما انصرف وتضاءل وقع قدميه نازلاً من على السلم.

كان الجو لا يزال مظلماً، وكان الضوء الوحيد الذى أفلح فى الوصول إلى غرفتهما هو ضوء مصباح الشارع، متسللاً من خلال الستائر المنسدلة على النافذة، لكن كان الفجر قد أوشك على البزوغ فعلاً.

تطلعت إليه ليسا فى حب وغمغمت فى دلال:

www.elromancia.com

- لا أريد الذهاب من هنا.

أجابها فى رقة:

- ما باليد حيلة.

ثم تلاشت رقته وهو يضيف فى جد:

- هيا انهضى واستعدى للانصراف. الطائرة ستكون فى انتظارنا. لدينا عمل يا امرأة!

هل هذا هو نفس الرجل الذى انفجرت ينابيع حبه ورقته معها بالأمس؟

بعد ذلك بقليل وهما فى الطائرة فوق أميال مترامية من الصقيع والجليد التى بدأت تظهر لتوها وتزداد وضوحاً مع ضوء النهار النهاض من سباته، تطلعت إليه ليسا فى شرود. لقد تغير فى ثوان من حبيب إلى مجرد صاحب عمل! فى لحظة يغمرها بحب يكفى الأرض كلها، بل ويفيض، وفى اللحظة التالية يكاد يفقد صبره معها، مشغولاً قبل كل شىء بالوقت الذى ينقضى فى سرعة وما قد يسببه ذلك من تأخير فى جدول تصوير مشاهد اليوم!

- هل يمكنك تدوين بعض الملاحظات؟

أتاها صوت الممثل فى نبراته وهو يجلس إلى جوار قائد

الطائرة. كان جرانت يحدثها دون أن يلتفت إليها.

- طبعاً.

دست يدها تتحسس فى جيب بعطفها تبحث عن دفتر الملاحظات والقلم، وهى تقاوم شعور عجيب بالاشمئزاز منه.

كم هى ساذجة لتتوقع منه أن يعاملها إلا باعتبارها سكرتيرته! على الأقل، هذا هو ما يعرفه الجميع عنها، بمن فيهم هذا الطيار الجالس أمامها. ليس من المحتمل بالمرة أن يكشف أمام الجميع الآن حقيقة علاقتهما. لابد أنه سيرتب لذلك ويعلن عنه لاحقاً.

أجل، بعد أن تتاح لهما الفرصة للجلوس معاً وتقرير الصورة التى سيخرج بها إعلان كهذا. لا شك ستكون المناسبة مفاجأة مذهلة للجميع.. عندما يخبرهم بأنها زوجته، وحبيبته. بل إن ليسا الآن نتساءل عن رد فعل «ساندى» عندما تعرف..

لابد أنها ستبتسم وتغمز لها بعينيها قائلة:

«ستغيب عن العشة دجاجة!

أمسكت بقلمها فى استعداد وقالت له:

- حسناً. أنا جاهزة.

رد فى صوت حيادى:

- حسناً. دونى هذا:

ستلغى المشاهد المقررة اليوم بين ريك وجابرييل دومو.. عندما نعود إلى الموقع دونيها على الخريطة كاحتمال للتصوير يوم الخميس وتأكدى من استعداد رينيه وكلارك للتصوير. اتصلى بوكيليهما..

دونت الملحوظة بجوار اسمى الممثلين.

أضاف:

- سنبدأ اليوم مشاهد أليس. لقطة طويلة وأخرى عن قرب وثالثة ماستر لوصولها واسترجاع الجنازة. استخدم نفس زوايا الكاميرا لتؤكد على مفارقة أحلامها الضائعة.

وتواصلت ملحوظاته السريعة المتتالية كنقرات الطبول، وتواصلت نقرات قلمها على الورق فى سرعة وتتابع، فلم تستطع الانتباه جيداً لمعنى ما تكتبه، إنما كل ما كان يهم هو أن تحول هذه الملحوظات إلى تعليمات موجزة مختزلة جاهزة للكتابة على الآلة بمجرد عودتهما إلى الموقع.

أنهى ملاحظاته تماماً مع ظهور موقع التصوير بمقطوراته وأفراد طاقمه، أمام أعينهما. كانت الشمس قد

بدأت ترتفع الآن، حمراء بلون الدم ثم تتجاوز الأفق صاعدة فى سرعة، مجرد قوس باهت فى البداية يلون نقطة فى الأفق البعيد، مجرد قوس باهت فى البداية يلون نقطة الأفق البعيد، ثم نصف دائرة مسطحة ثم كرة كاملة متوهجة، مفارقة سطح الأرض فى سرعة ودون خجل.

توقفت الطائرة وفى لحظات كان جرانت خارجها يمد يده إليها يعاونها على النزول.

- حسنا، تعالى.

ثم التفت إلى الطيار قائلاً:

- حسناً يا ستو، انصرف أنت. سأراك فيما بعد.

سألته ليسا فى اهتمام:

- إلى أين سيذهب؟

أجابها بصوت جاف:

- سيعود إلى ساسكاتون.

كانا يسيران الآن متجهين إلى المقطورات.

سألته وهى تسير خلفه فى تعثر فى الجليد الكثيف المتراكم على سطح الأرض:

- لكن لماذا؟

رد فى بساطة:

- ليأتى بمورجان طبعاً. لقد طارت إلى ساسكاتون ليلة أمس. وبدلاً من أن تذهب السيارة إلى «روزلت»، أخبرتها أننى سأرسل الطائرة إليها. إنها تنتظرها هناك. يا إلهى! ليسا!

توقف فجأة وبدت الدهشة على ملامحه وهو يتابع:

- ألم تدونى كل ما قلته لك! مشاهد أليس. مورجان ستلعب دور أليس، ولذا غيرت الترتيبات. لقد بعثت رسالة إلى وكيل أعمالها يوم الجمعة. لقد عرضوا عليها دوراً فى هوليود، ولذا فقد وافقت على تغيير ترتيبات التصوير لتستطيع قبول التمثيل فى فيلمى. بحق الله، إياك! أن تقولى لى أنك لم تدونى كل ذلك؟!.

غمغمت فى ارتباك:

- بل دونته.

ثم وقفت تشاهده وهو يبتعد عنها، ممزقة بين إحساس مرير بالإهانة وغضب لا يزال فى بداياته.

كيف له أن يعرف أنها لم تعَ معنى شىء ما كان يقوله

لها، مع محاولتها مواكبة سرعته فى إلقاء التعليمات؟

- لقد كانت تفكر ساعتها فى كيفية تحويل هذه التعليمات الكثيرة إلى ملاحظات موجزة مختصرة مكتوبة على الآلة الكاتبة.

لكن.. طبعاً مورجان هى التى ستلعب دور أليس. أجل لقد كانت تعرف ذلك، لكن كل ما فى الأمر أن ذلك لم يعشق جيداً فى عقلها، تماماً كما لم تستوعب ساعتها أن المشاهد المقرر تصويرها بين أليس وزوجها المغامر سيمثلها مورجان، وجرانت نفسه!

- ليسا! تعالى، لماذا تقفين هكذا! لقد أضعنا بالفعل نصف يوم!

كان قد لاحظ أخيراً أنها تجمدت مكانها ولم تتبعه.

إذن فقد كان كل شىء من أجل مورجان!

هكذا قالت ليسا لنفسها فى حسرة ومرارة، عندما جلست مع جرانت ونوريس فى مقطورة الأخير بعد أن كتبت الملحوظات على الآلة. جلست على أحد الكراسى وتطلعت بعينيها إلى نقطة ما فيما فوق رأس جرانت.

لن يُسْمَح لشىء بالحيولة دون وصول مورجان بالطائرة إلى الموقع فى الوقت المحدد الذى يتيح لها المشاركة فى

تمثيل الدور الذى عرض عليها فى هوليوود، حتى ولو كان ذلك معناه خسارة «مئات الدولارات» كما قالت لها ساندى منذ قليل!

ربما كان جرانت يتوقع أن يطير ليستقبلها بنفسه فى ساسكاتون ليلة الأمس، وفى هذه الحالة. فلابد أن هبوطهما الاضطرارى قد كلفه ما هو أكثر؛ بكثير، من ضياع نصف يوم تصوير..!

تواصل الاجتماع بين جرانت ونوريس بلا نهاية، وامتد حتى الغداء، ولم يتوقف إلا عندما تناهى إلى مسامعهم صوت هدير محرك الطائرة تهبط على سطح البحيرة المتجمد. لقد وصل مورجان حبيبة القلب أخيراً.

أومأ جرانت برأسه إلى ليسا لتحتل مكانها فى نهاية الطابور الذى اصطفت لتحية «النجمة الفاتنة».

- دارلنج!

قالتها مورجان فى دلال وأسرعت فى شوق نحو جرانت.

- لم أصدق نفسى يا «جرانت» يا عزيزى عندما قال لى وكيل أعمالى أنك قد قررت أن تتحمل كل هذه المصاعب وتغير جدول التصوير من أجلى!

رد جرانت فى لهجة جافة:

- فى هذه الحالة إذا لا أظن أنك ستمانعين لو بدأنا التصوير فوراً. هذا هو نوريس، وطبعاً تعرفين سام و..

أخذ يقدم لها الطاقم فرداً فرداً فى سرعة شارحاً لها صفة كل واحد منهم.

وعندما وصل إلى ليسا قال:

وهذه ليسا بينسون، سكرتيرتى.

غمغمت مورجان فى دهشة:

- ليسا؟

لم تكن قد قابلت ليسا منذ أيام باربادوس.

تابعت:

- لكننى كنت أظن.

قاطعها جرانت فى صرامة:

- لست هنا لتظنى. أنت هنا لتمثلى وحسب!

حسناً، على الأقل فهو يعامل مورجان بنفس الخشونة التى يعامل بها بقية الفريق.

وبدأ التصوير على الفور. ولم تستطع ليسا أن تكتم حسرتها وهى تشاهد جرانت ومورجان يمثلان معاً، منسجمان متفاهمين. ومورجان تخطف الأضواء. لكنها ممثلة ممتازة. ليس أمام ليسا سوى الاعتراف بذلك.

فما إن بدأ التصوير إلا واختفى كل الدلال والفنج اللذين كانت مورجان تتظاهر بهما، وتلاشت «نعومتها» المصطنعة، وانهمكت فى تمثيل دورها المرسوم فى إتقان وتركيز شديدين.

- حسناً، راحة!

أخيراً انتهى العمل بعد عصرية شاقة، وانتهى تصوير آخر مشهد لذلك اليوم.

بعدها بخمس عشرة دقيقة كانت ليسا تجلس فى كوخ الطعام وأمامها وجبتها وديفيد، المخرج المساعد، وساندى بجوارها يثرثران فى ود عن اهتمامهما المشترك بمشاهدة الأفلام القديمة. أخذت ليسا تفكر فى الفارق بين هذه الأمسية، وكل الأمسيات السابقة قبل وصول مورجان.

حقاً، للأغنياء قانونهم وللفقراء قانونهم، كما قالت لها ساندى ذات مرة. فعلى شرف مورجان، منح الفريق كله راحة، لم يجد عليهم جرانت بمثل قبل وصول «حبيبة

القلب»! الليلة يمكن تأجيل كل شىء. كل شىء يمكن تأخيره من أجل سواد عينى مورجان.

انفتح الباب وتطلعت إليه ليسا فى شرود. ترى، كيف سيكون رد فعل جرانت إذا رآها مع ديف الليلة؟ لكنه لم يكن جرانت، بل جماعة من العمال والفنيين.

ولم تشغل بالها؟ ليس من المحتمل أن يأتى جرانت قبل مرور وقت طويل. إنه لا يزال مع مورجان فى مقطورة نوريس الذى يلعب دور العاذل الآن، كما تلعبه هى نفسها مع ديف وساندى.

التقمت لقيمات من طعامها. أمر غريب حقاً! إن الطعام الذى يقدمونه فى الموقع كل ليلة رائع، لكن لماذا أصب الليلة بلا طعم؟!

- حاولت التركيز فى طعامها، أو فيما يثرثر به ديف وساندى، لكن صورة مورجان متأبطة ذراع جرانت وسيول الهمهمات الودودة بينهما منهمرة، ظلت تفسد كل محاولات ليسا.

ثم انفتح الباب وظهر منه هذه المرة جرانت. كان قد أبدل ثياب التصوير. عجيب! كيف استطاع تحمل فراق «محبوبته» أثناء إبداله لملابسه؟!

- وكيف تركها فى صحبة نوريس وحدهما؟! لكن، مثل جرانت لا يحتاج للتواجد مع امرأة، أى امرأة، ليترك ختم ملكيته عليها. لقد أثبتت هى ذلك بنفسها ليلة الأمس.

نهضت فجأة تاركة وجبتها، وقالت لرفيقيها:

- بعد إذنكم. يجب أن أعود لأواصل عملى.

- ليسا!

سمعته يناديها. لكنها واصلت طريقها نحو الباب متجاهلة إياه. ليظن ما شاء. من ظنون إلا الظن الوحيد الصحيح:

- أنها لا تطيق رؤيته مرة أخرى مع مورجان.

المشهد الأخير

ثلاثة أيام، يومان، يوم.. أربع وعشرون ساعة فقط وتغور مورجان هذه وتعود الحياة، إن لم تكن بلا ألم، لكن على الأقل شيئاً تستطيع تحمُّله.. ومع ذلك الدور الذى ينتظرها فى هوليوود، فليس من احتمال لأن تبقى مورجان لأطول من ذلك، حتى ولو أرادت ذلك. لقد وقعت عقدها بالفعل مع هوليوود، كما أعلنت هى وتباهت أمام الجميع دون استثناء.

وبعد سنوات من العمل فى السينما الكندية فقط، كما قد جاءتها فرصة تحقيق إنجاز على الشاشة العالمية. وبالطبع

www.elromancia.com
مـرمـوريـة

ليست على استعداد لتضيعها، وخصوصاً، أن الشاهد هنا الخاصة بأليس وماسيناك قد سارت حسب الجدول، بل ومبكراً عنه كذلك.

لم يبق سوى مشهد واحد فقط سيصور فى الصباح التالى، وهو عبارة عن حوار عاطفى بين ماسيناك (جرانت) صائد الفراء وزوجته (مورجان) ليظهر كيف كانت الحياة تبدو فى عينى أى امرأة نبيلة أتت إلى الغرب لتنضم إلى رجلها فى نهاية القرن التاسع عشر.

ومثل معظم المشاهد الأخرى، سيتم تصوير هذا المشهد فى غير ترتيبه، لكن عندما يتم عمل مونتاج الفيلم فسوف يأتى بعد وصول أليسا مباشرة إلى المستوطنة عندما تدرك أنها ستترك وحدها تماماً فى بلد غريب وعناصر التمرد تتجمع من حولها، بينما يخرج ماسيناك على زلاجته التى تجرها الكلاب ليتفقد مصائده التى نصبها فى الغابة.

جلست ليسا فى العشة المعزولة جيداً- والتى لا يكاد المرء يشعر فيها بالدفء مع هذه العاصفة القطبية العنيفة الثائرة بالخارج- وأخذت تتقر على الآلة الملحوظات الخاصة بآخر مشهد سيحمل اسم مورجان.

أخيراً!! بدءاً من الغد ستصبح الحياة أخف وألطف، أما

فيما يخص ذلك المشهد السخيف الأخيرين جرانت ومورجان، فإن ليسا سوف تركز على مشاهدة الكلاب! كانت الكلاب قد وصلت بالطائرة عصر ذلك اليوم؛ ثمانية كلاب سيبرية ضخمة وجميلة وذكية.. لكنها غدارة تماماً، وقد حذر صاحبها الجميع من الاقتراب منها. ها هى الآن بالخارج مجرد كتل بيضاء صغرة وسط الثلوج المنهمرة، لا تلقى بالاً لكل هذا البرد!

انفتح باب المقطورة، لكن ليسا لم تكلف نفسها عناء النظر إليه.. لابد أنها ساندى.

- أهلاً!

دخلت ساندى وجلت معها وفقة من الهواء المتجمد..

- بررررر... الجو هنا ثلج! لابد أننا فى اتجاه الريح. لن أخلع معطفى.

دخلت وأغلقت الباب وواصلت:

- يا للكلاب المسكينة! لقد مررت عليها للتو..

ردت ليسا دون أن تلفت إليها:

- أظن أنها معتادة على هذه الأجواء.

وواصلت نقراتها على الآلة، بعد قليل انضمت إليها

ساندى على آلتها فى الطرف القصى من المقطورة. الروتين المسائى المعتاد؛ مساعدة المنتج وقد تدثرت بمعطفها السميك جالسة تدون ملاحظاته، وفتاة الربط وقد التحفت بمعطف يظنه الرائى بطانية من الصوف السميك، جالسة هى الأخرى تنقش تفصيل عملها المعتادة للربط بين المشاهد المتتالية وضمان منطقية الملابس والاكسسوارات.. الخ. مجرد جزء صغير من صخب التصوير الخارجى.

- أليست مذهلة!!

سألها ديف ذات مرة أثناء إحدى فترات الانتظار الطويلة أثناء التصوير، وكان يحدثها لكن عينيه لم تتحولان عن وجه ساندى الواقفة بجوار جرانت.

- ألا تعتقدين أنها تشبه تماماً إنجريد برجمان فى شبابها؟

طبعاً لا. صحيح أنها جميلة، لكن مهما شطح خيال ليسا فإنها لا يمكن أن ترى إنجريد برجمان فى أى مرحلة من مراحل عمرها كلما نظرت إلى وجه ساندى المستدير ذى الأنف الأفطس قليلاً.

قد يكون لها نفس لون الشعر، لكن حسناً، عند هذا وينتهى كل شبه. لكنهم يقولون أن مرآة الحب عمياء، عمياء

ودائماً توقع فى المهالك، تماماً كما كانت مرآتها يوماً، وكما ستكون مرآة المسكين ديف فى النهاية. فبرغم كل ما كان بينهما من اهتمام مشترك بالأفلام القديمة، فإن ساندى لم تظهر أبداً منها أدنى بادرة على أنها تردى فيه همفرى بوجارت فى شبابه. بل إن ليسا تشعر بأن الفتاة لها صديق آخر فى تورونتو.

- ديف!

فى هذه اللحظة لمح جرانت ديف يقف معها وناداه على الفور. عجيب أمره حقاً! لماذا يشغل نفسه دائماً إلى هذه الدرجة بمع من تتكلم؟ ألا يكفيه أنه قد أثبت، فى تلك الليلة المشؤومة فى الفندق، كل ما كان يريد إثباته؟ كما أن لديه مورجان «فوق البيعة» الآن!

مورجان؟

- أنت الفتاة التى سبق ورأيتها فى بغبادوس، أليس كذلك؟

سألتها مورجان ذات صباح.

- أجل هو أنا.

كانتا بمفردهما معاً فى المقطورمة حيث جلست مورجان

ممسكة بالمرآة وظلت تتطلع إلى وجهها منتظرة عودة جين، الماكيرة، من تناول الإفطار لتضبط لها ماكياجها، بينما ليسا تحاول مع حذاءها ذى الرقبة لعلها تفلح فى ارتدائه.

- لقد قلت ذلك لنفسى.

ردت مورجان فى شىء من الرضا وأضافت:

- كنت أسأل نفسى أحياناً يا ترى ما الذى حدث لكِ.

توردت وجنتا ليس من ذلك الاهتمام غير النظيف.

- حسناً، ها أنت تعرفين الآن.

اللعنة على رباط هذا الحذاء الذى لا يريد الدخول فى الفتحات المخصصة له!

ردت مورجان فى خبث:

- هل تعنفين؟ سمعت إشاعات ذات معنى بأنكما تزوجتما؟

اللعنة! لماذا لا يتدخل أحد وينهى هذه المكالمة السخيفة!

لكن مورجان واصلت:

- لم أسمع شيئاً مؤكداً، وإن كنت لم أتفاجئ بذلك. لقد أظهر جرانت نفسه غبياً أيام كان على هذه الجزيفة المقرفة!

كل تلك الجولات الصباحية الرومانسية فى الفجر! كان شيئاً مقززاً.. مقرفاً حقاً! لكنى أتذكر أننى كنت متضايقة جداً! لكن بعد ذلك..

الآن اكتست ملامحها من الاحتقار والغل، إلى الرضا والسرور.

- بعد ذلك سمعت أنك.. اختفيتِ.

أجل. وذلك صحيح. لقد علمت أجهزة الدعاية فى شركات الأفلام على التأكد من ذلك. بالقطع لم يكن ذلك الزواج، من وجهة نظر هذه الأجهزة، ليفيد نجم صاعد واعد مثله كثيراً.

الآن نهضت مورجان فى بطء وقالت لها:

- لكنك لازلت تحبينه، صحيح؟

ردت ليسا فى ضيق:

- لا أدرى عم تتحدثين.

صاحت مورجان فى احتقار:

- لا تحاولى التمثيل علىّ! إن ذلك واضح وضوح ذلك الأنف الذى تحملينه على وجهك. لكنك تأخرت كثيراً يا صغيرتى.. كثيراً جداً.

www.elromancia.com

نفضت ثوبها فى ازدراء وارتسمت على وجهها علامات الزهو والظفر.

أضافت فى ثقة:

- كان يجب عليك أن تحصلى عليه عندما أتيحت لك الفرصة. صحيح أنه ذكاء بالغ منك أن حصلت. هذه الوظيفة معه.. لكنك تأخرت جداً يا عزيزتى. فى رجل مثل جرانت، لن تواتيك الفرصة مرتين.

فى تلك اللحظة دخل أحد إلى المقطورة. من؟ لا تذكر ليسا بالضبط. كل ما تذكره جيداً، ولازالت تراه أمام عينيها حتى الآن، ولازالت تراه الآن وهى تجلس فى المقطورة تكتب الملحوظات الخاصة بالظهور الأخير لأليس فى الفيلم، هو وجه تلك المرأة التى ستلعب دور أليس وقد امتلأ زهواً وانتفخ فيها فى ثقة وهى تتكلم عن جرانت. الآن لم يعد لديها شك فى أى مقطورة بين مورجان بعد أول ليلة منذ وصولها إلى موقع التصوير.

- أريد الحديث معك!

أتاها صوت جرانت ففزعت، وتوترت كل حواسها.. كالعادة.

- سأنتهى خلال دقيقة.

قالتها دون أن تنظر إليه، لكن وجوده كان يملأ كيانها كله.. يلهب أعصابها بسياط من نار متقدة.

- لم آت إلى هنا من أجل الملحوظات.

ثم لحظات من الصمت.

ثم..

- ساندى! اتركينا بمفردنا قليلاً من فضلك!

وعلى الفور انقطع صوت آلة ساندى..

- ماذا؟ أوه.. بكل تأكيد.. لا مشكلة.

وبطرف عينها رأت ليسا ساندى وهى تكوم أوراقها وتخرج فاغرة فاها. لحظات أخرى من الصمت وساندى ترتدى حذاءها، ثم صوت باب الكوخ يصفق.

- والآن.. اكفى عن هذا النقر السخيف!

وانقضت ذراعه على الآلة يضربها فى عنف.

استدارت تواجهه وسألته فى هدوء تغيظه:

- لماذا؟ هل قررت التوقف عن لعب دور سائق العبيد؟ كنت أظن أن الشىء الوحيد الذى يهمك هو العمل!

ابتسم رغماً عنه قائلاً:

- أحياناً أفكر فى أشياء أخرى غير العمل.

صاحت فيه:

- طبعاً! أنا متأكدة من ذلك!

تباً لهذه الابتسامة! إنها تسلبها كل إرادة وقدرة على مقاومة ضعفها نحوه، رغم أن عقلها يخبرها أنها ابتسامة لذكريات حلوة مع مورجان.

اختفت ابتسامته وحل محلها بذلك بالضبط؟

ردت فى سخرية:

- اسأل الطاقم.

رد فى حدة:

- أنا لا أسأل الطاقم عن أى شىء... أنا آمرهم! ما أريد أن أسألك عنه، هو لماذا تتجنبيننى!

أجابته فى سخرية:

- لا أعتقد أن طوال اليوم يعدّ.. تجنباً لك! هذا مع تجاهل اجتماعات الانتاج فى المساء. والآن، بعد إذنك..

وحاولت أن تستدير إلى آلتها لكنه أمسك بها فى قوة.

حذرها قائلاً:

- لقد أمرتك بالكف عن ذلك! والآن أخبرينى!

انفجرت فيه:

- لماذا؟ وماذا تريدنى أن أقول؟

- أتريدنى أن أقول لك أنك قد رحبت؟ لو كان هذا هو ما تظنه فدعنى أؤكد لك أنك أخطأت، هل تفهم؟

- ربحت؟

بدت الحيرة على ملامحه للحظة.

- تلك الليلة.. أظن أنك تعتقد أنها كانت تعنى شيئاً.

يالها من ممثلة بارعة! ربما لا تقل براعة عن مورجان!

واصلت:

- حسناً، دعنى أقل لك شيئاً. إنها لم تعن شيئاً. وأنت لا تعنى أى شىء فى حياتى، لا شىء ، هل تسمعنى! وتفهمنى جيداً؟ لولا اضطرارنا للهبوط.. لولا كل شىء.. هل كنت ظن أننى كنت سأدعك تفكر فى الاقتراب منى؟

عند ذلك غلبتها دموع أبت أن تدعه يراها تنهمر من عينيها فاستدارت فى سرعة وانطلقت أصابعها تنقر على

www.elromancia.com

الآلة، أى شىء، أية حروف المهم أن تدارى وجهها عنه.

- حسناً. فى هذه الحالة فليس هناك ما يقال، أليس كذلك؟

كان صوته خفيفاً لكنه كان واضحاً رغم ضجيج الآلة.

- سأنتظر هذه الملحوظات فى مقطورتى بعد عشرين دقيقة.

***

خرجت فى الصباح الباكر إلى موقع التصوير، متعمدة لكيلا تصطدم بمورجان وتحدث بينهما مناوشة كالتى حدثت بينها بالأمس، وأحست بالراحة لخروجها من المقطورة ذات الجو الخانق إلى ضوء النهار المشرق.

لأول مرة منذ أيام طويلة، قضت جين الليلة الماضية كلها فى «العشة»، ولذا فقد كان الجو خانقاً.

بعد قليل كان الجميع قد خرج. كلٌّ إلى مكانه، واستعد الجميع لتصوير مشهد خروج ماسيناك إلى الغابة فى زلاجته التى تجرها الكلاب.. وقفت ليسا تتفرج على المشهد وفوجئت بمورجان تتحرك فى اتجاه الكلاب.

- مورجان! قفى مكانك لا تقتربى منها!

كان واضحاً أن مورجان لم تستمع إلى صاحب الكلاب ومدربها وهو يحذرهم من الاقتراب من هذه الكلاب الشرسة،

ولذا فقد واصلت سيرها دون أن تُعِرْ ليسا أى اهتمام.

وانطلقت ليسا تعدو خلفها كالمجنونة ثم طارت تجاهما وأمسكت بها ودفعتها بعيداً فى اللحظة المناسبة، قبل أن ينقض عليها الكلب الموجود فى المقدمة والذى راح ينبح فى غضب شديد وتبعته بقية الكلاب. وفى لحظات ساد الهرج والمرج المكان واندفع الكل يجرى نحو المرأتين.

- ما الذى يجرى هنا بحق الجحيم!

كان هذا هو صوت جرانت الذى غطى على أصوات الجميع، وهرول تجاهما.

- هل أنت على ما يرام يا مورجان؟

ولم يبال حتى بالنظر إلى وجه ليسا الشاحب المضطرب.

ردت مورجان فى تشنج:

- بخير.. هل رأيت بنفسك ما فعلته بى يا عزيزى؟ لقد تعمدت دفعى!

رمى جرانت ليسا بنظرة نارية قاسية ورد قائلاً:

- أجل رأيت. نوريس، صور لقطات الكلاب أولاً ثم اصرفها من هنا. سآخذ مورجان إلى مقطورتى لبعض الوقت.

ثم اصطحبها يرتب على كتفيها مهدئاً روعها بينما وقفت ليسا تحدق فيه فى ذهول. هل أصابه العمى؟ لقد نظر إليها وكأنما قتلت قتيلاً! ولولاها لكان يصطحب مورجان إلى المستشفى الآن، لا إلى مقطورته.

* * *

- اقطع! راحة يا جماعة!

أخيراً انتهى تصوير المشهد الأخير وانتهى عمل ذلك اليوم الشاق! لم تكن مورجان فى حاجة لممارسة دلالها مع نوريس لكى تعمل معه فى أفلامه القادمة التى سيصورها فى هوليوود. إنها ممثلة بارعة، ومثل الجميع، لم تملك ليسا إلا بالتأثر بمشاعرها المصطنعة أمام الكاميرا.

- هل ستقضين هنا طوال اليوم أم ستذهبين وتكتبى ملحوظاتى؟

واضح أن شخصاً واحداً بين الجميع لم يتأثر ببراعة مورجان فى التمثيل.. جرانت طبعاً.

ردت وقد احتقن وجهها:

- سأجهزها عندما تعود.

رد فى برود:

- بل أريدها الآن. أريدها جاهزة وأن تكون على الطائرة خلال عشرين دقيقة.

- سأرسلها إلى مقطورتك.

قال: لا، بل ستأتينى بها فى الطائرة.

لم تفهم ولن تفهم مقصده.

- هل تقصد أنك تريدينى أن أرافقك فى الطائرة عندما تذهب لتوصيل مورجان؟

رد فى بساطة:

- طبعاً. سأراجع المشاهد الأولية التى صورت فى يومين كاملين وربما أحتاج إليك.

سألته فى يأس.

- وماذا عن ساندى؟ لماذا لا تذهب هى؟

لم يكن ينظر إليها بالمرة، لكنه الآن نظر إليها فى برود وقال فى حسم:

- ساندى لديهما عملها، وأنت لديك عملك.

ثم استدار منصرفاً إلى الطائرة، مضيفاً دون التفات:

- عشرين دقيقة فقط يا ليسا.

لا أمـــل

- عليك أن تحمدين ربنا، فلن تضطرين للسفر كل هذه المسافة إلى ماسيفيى.

- ماذا؟

كانت ليسا مشغولة بكتابة ملاحظات جرانت، فلم تسمع تقريباً ما قالته ساندى.

عمل يوم كامل تطالب بإنجازه فى عشرين دقيقة لا غير!

أمر مضحك حقاً! لا بل هو أمر يتميز به جرانت! أجل إنه عازم على أن كون حرفياً معها!

واصلت الكتابة فى غضب.

- ماسيفيى. أليست تلك هى المدينة التى انضمت فيها إلينا؟

أتاها صوت ساندى عبر المقطورة فأبطأت ليسا إيقاعها قليلاً.

- لقد تخيلت أننا لن نصل أبداً عندما ذهبنا فى أول أسبوع تصوير. وذلك الباص البشع يواصل السير إلى أين؛ لا أدرى! كان علىّ أن أتوقع كيف تكون الحياة فى منطقة كهذه!

ذكَّرتها ليسا قائلة:

- لقد كنتِ تتحدثين عن ماسيفيى.

ردت ساندى:

- حقاً؟ أوه.. أجل. كان ذلك غريباً، ولم يستطع أى منا أن يفهم لماذا أصر جرانت على الذهاب إلى هناك. أقصد أنه فى البرارى تبدو كل المدن متشابهة، أليس كذلك؟ خطوط السكك الحديدة والمدرجات الخضراء ونصف دستة محلات: لكنه أصر على هذه المدينة بالذات، مع أنه كان بإمكاننا التوقف عند مئة مدينة أخرى فى طريقنا، ولم تكن ماسيفيى هذه تعنى إلا مسيرة يوم آخر فى الحافلة.

www.romancelib.com

الآن توقفت «ليسا» عن الكتابة. قد لا يستطيع بقية أفراد الطاقم إدراك السبب، لكنها الآن تدرك تماماً لماذا اختار جرانت ماسيفيى بالذات!

ببساطة لأنها هى كانت هناك! لقد عرف بطريقة ما أنها هناك، وسعى وراءها لغرض فى نفسه.

إذن، فإن كل ما كانت تظنه من تراتيب القدر إنما كان مخططاً ومرتباً من قبل؟ ولم يكن أول لقاء جمع بينهما «بالصدفة» فيه من المصادفة إلا بقدر ما فى تتبع الصياد المحترف لآثار فريسته والإيقاع بها فى فخه الذى أحكم نصبيه..!

ها هى كل الألغاز تنحل. فمثلاً، كيف كان له أن يعرف أنها أصبحت تجيد الكتابة على الآلة؟

لابُدَّ أنه كان يتتبع أخبارها بطريقة أو بأخرى. ولابد أنه، فى السنتين الماضيتين اللتين كانت تظن فيهما أنه لا يعرف لها طريقاً، كان يمسك بلجامها فى يده مرخيا إياه، والآن قرر، لسبب أو لآخر، أن يعد شده مرة أخرى.

وليس السبب عسيراً على الفهم إلى هذا الحد. فبكل وضوح؟ إنه لم يكلف نفسه عناء جرجرة طاقم التصوير كله إلى أقاصى الشمال، مع ما فى ذلك من مضيعة للوقت

والجهد والمال، إلا بسبب مورجان. لقد تجاهلها تماماً بعدما تركته وانصرفت، وظل هكذا طوال العامين الماضيين، ولكن مع ظهور مورجان على الساحة فلابد أنه قد قرر أن يضع مشهد النهاية لزواجهما.

مسكينة مورجان، ولا شك أنها لا تعلم أنه يستخدمها كمجرد أداة للضغط عليها لتوافق على الطلاق منه فى الوقت الذى يريده، ودون شروط.

أتراها كانت تتوقع، عندما تصل إلى موقع التصوير، أنها ستجد نفس الفتاة التى رأتها مع «حبيب قلبها يوماً ما فى باريا دوس، تلك الفتاة التى أرادت لها الشائعات أن تكون زوجة له؛

هل تعلم مورجان أن هذه الشائعات قد أضحت يوماً حقيقة راسخة؟ ولازالت؟

فى البداية لم تكن الطرقات على باب المقطورة أكثر من مجرد انعكاس للأفكار التى تعصف بعقل «ليسا»، لكنها سمعت ساندى أخيراً تنهض من مكانها لتفتح الباب. سمعت همهمة حديث خافت. ربما كان الطارق هو ديف، لكنه لم يدخل.

أغلقت ساندى الباب وقالت لها:

- جرانت يسأل إن كُنتِ جاهزة أم لا.

ردت ليسا فى سرعة:

- أجل.. للتو.

ثم انتزعت الورق والكاربون من الآلة وفصلتهما ثم وضعت الملحوظات التى كتبتها فى مظروف وشرَعتْ ترتدى معطفها وحذاءها. لاحظت أن ساندى ترقبها فى اهتمام.

سألتها ساندى:

- هل أنت بخير؟

جذبت ليسا القلنسوة على رأسها وغمغمت فى شرود:

- بخير؟ أجل أجل.

كانت غاضبة ومكتئبة وتشعر بالمهانة.

فتحت الباب وهرولت خارجة. كان البرد قد شدد قبضته على المكان وحوله إلى قطعة من الجحيم.

أسرعت تجاه الطائرة حيث مد لها شخص يده وعاونها على الصعود ثم جذب السلم وطواه وأغلق الباب خلفها.

اتخذت مكانها فى المؤخرة وثبتت حزام مقعدها وبدأت المحركات فى الدوران. كانت معظم المقاعد الأخرى قد

امتلأت، وقد بدأ الدفء يستعيد أشتاته التى بعثرها البرد القاتل بالخارج، وبدأ عقلها يستعيد قدرته على العمل مرة أخرى.

لم يكن جرانت ومورجان بالطائرة وحدهما، بل كان هناك أيضاً نوريس والمصوِّر كذلك. ومع عودة الممثلين اللذين أجلت مورجان مشاهدهما.. فإن رحلة العودة ستكون مكتظة بالركاب فى رحلة العودة.

يا لمورجان المسكينة! مع كل هؤلاء الناس فى الطائرة، فلن تتاح لها فرصة توديع «حبيب القلب» الوداع المناسب.

لكن مورجان كانت تضحك فى مرح وتلقى بالنكات يميناً وشمالاً، والطائرة تقلع وتستقل رحلتها القصيرة إلى «روزلف». ربما تكون قد ودعته كما تريد فى المقطورة قبل أن تغادر. تماماً كما ستغادر هى أيضاً، ليسا، الليلة دون وداع وتعود لتحاول لملمة ما تبعثر من خيوط حياتها مرة أخرى.

- مدهشة!

صاح بها جرانت فى برود عندما سأله نوريس عن رأيه فى مورجان، وهما يجلسان، مع بقية أفراد رحلة العودة، ليراجعا المشاهد الأولية فى صالة الكنيسة الواسعة فى روزلن، والتى حولوها إلى معمل سينمائى صغير.

أضافت:

- لكن تلك اللقطة المقربة مبالغ فيها قليلاً. ليسا، ضعى علامة استفهام بجوارها. هيا، لقطة ٤٢٧، خذى اثنين.

وكانت رحلة العودة تشوبها أجواء متوترة، فقد ظل نوريس يشتكى متذمراً مما اعتبره ظلماً من جانب جرانت، ومطالباً بحقه فى تحرير المشاهد وفق رأيه، بينما ظلت جرانت صامتاً فى تعالٍ، صمتاً تدرك ليسا كنهه تماماً.

أجل، فهذا الصمت طالما انتهى به الكثير من مشاداتهما كلما فشل فى إقناعها بما يريد أو تطيب خاطرها وإقناعها بأن علاقته بزميلاته الممثلات مجرد علاقة عمل برئية.

وهو نفس الصمت الذى جربته منه عندما تركته ومضت، تماماً كما ستتركه الآن وتمضى إلى حال سبيلها مرة أخرى. يالها من مفارقة! ففى الوقت الذى صارت فيه أكثر نضجاً واستعداداً على تفهم طبيعة عمله وتعدد علاقاته، تعود مورجان مرة أخرى للظهور لينهار حلمها كله كبيت من الرمال على شاطىء بحر عاصف!

- حسناً يا جماعة، حان وقت ربط أحزمة المقاعد! سنبدأ الآن فى الهبوط.

ارتفع صوت الطيار مخترقاً أدغال خواطرها المتشابكة وبدأت الطائرة تخفض ارتفاعاها استعداداً للهبوط.

ثم هبطوا جميعاً وصاح الممثل الذى يؤدى دور لوى ريل:

- ها قد عدنا أخيرا! لم يتغير شىء فى المكان كما أرى.

أجل لم يتغير شىء. لكن غداً سيكون هناك تغيير واحد على الأقل. ستغادر المكان كله. إن ليسا لا تستطيع الانتظار حتى انتهاء الأشهر الثلاثة التى يتطلبها ذلك الاتفاق المهين المضحك المبكى الذى عقدته مع جرانت. كما أن البقاء قد يعنى أنها ستكون موجودة حينما يعلن جرانت على الملأ خطبته من مورجان.

لا، الهروب أفضل.

- هل ستأتين معنا لتناول بعض القهوة؟

سألها واحد من الممثلين وقد انتظر حتى تلحق به.

- لا، لا أظن ذلك.

ليس لديها رغبة فى تناول شىء.

- حسناً، طابت ليلتك إذاً.

- طابت ليلتك.

مضت تجرجر خطواتها نحو مقطورتها. كلها عشر خطوات، بل خمس، وتصل إليها.

- ليسا! ليسا!

قطع عليها صوت جرانت طريق عودتها إلى المقطورة.

- ليسا!

يا إلهى، ليس الآن وهى أضعف ما تكون أمامه، برغم كل شىء، حتى إنها توشك أن تنفجر فى البكاء لولا ما تمارسه من محاولات تكاد تكون مستحيلة للتحكم فى أعصابها.

- أجل؟

- ماذا تريد؟

قالتها وهى تلتفت فى بطء، وبنبرة غلفها قناع واهٍ من اللامبالاة.

- أن نتحدث؟

- هل هذه صعب إلى هذه الدرجة؟

- عن أى شىء؟

- عن مورجان؟

- هل تريد أن تعرف لماذا تعمدت دفعها أمام الكلاب

الشرسة!

- كفى سخافة!

خطا نحوها خطوة أخرى فتراجعت هى خطوات.

- إذن فلن نتكلم عن العمل. ما الأمر يا جرانت، فيم تريد أن تتحدث معى؟

أومأت برأسها نحو «العشة» وأضافت:

- لو كان أمراً شخصياً، فلا أظن أن ساندى سيروق لها كثيراً أن نخرجها الليلة مرة أخرى.

- حسناً. دعينا إذاً لا نزعجها، تعالى معى.

وأمسك بذراعها يتجه بها على مقطورته. فكرت فى مقاومته، لكن ما الفائدة؟

- سينتهى كل شىء إن عاجلاً أم آجلاً، ومهما كان، سيقوله لها، فكل ما لديه لتقوله هو أنها ستغادر المكان كله غداً، بل الليلة، بل بمجرد أن يأمر بإعداد الطائرة لها لتعود إلى روزلين.

www.elromancia.com

النهايـــة

باربادوس مرة أخرى!

دائماً ما يكون الشاطىء ساحراً فى مثل هذا الوقت من الصباح. فها هى الشمس تحول السماء الرمادية إلى اللون الوردى فالأخضر الأوباى المشرب بحمرة خفيفة، ثم بعدها بدقائق، عندما تلملم ثيابها وتتحرر من قيد الأفق، كان هناك ساعياً وراء رزقه، وقد وقف كتمثال أسود على مقدمة قاربه وقد أخذ يلقى بشبكته فى حركات دائرية رشيقة لتسقط إلى الماء وكأنها قطرات مطر خفيف.

وعلى البعد رقدت الشواطىء المخصصة للفنادق صامتة مهجورة، فلم ينهض السائحون بعد من سباتهم العميق بعد قضاء معظم الليل فى الاستمتاع بهذه الجنة الاستوائية. وعلى مسافة من الشاطئ انتفخت أوداج البحر ورمى بموجة هزيلة هرولت تقبل ثغر الشاطىء ثم ترتد إلى البحر فى تؤدة وسعادة راضية بما نالت من رماله الباسمة

سارت «ليسا بينسون فيريس» على الرمال حافية القدمين، لا ترى من كل هذا الجمال شيئاً. إذا ثَقُل القلب، خَفَّت العين.

صحيح أنها قد عادت إلى الجزيرة، لكنها كلما خففت قبضتها على لجام خيالها، طار بعيداً بعيداً، إلى آلاف الأميال.

لابد أنهم قد أنهوا التصوير فى الفيلم الآن وعادوا إلى «تورنتو» لتصوير عدة مشاهد متبقية فى الاستوديو واستكمال الأعمال التالية للإنتاج. نوريس وساندى والسكرتيرة التى لابد وأنهم قد استأجروها لتحل محلها و.. جرانت.

- صباح الخير!

حملتها خواطرها لأبعد مما كانت تنوى، إلى ذلك الجزء

من الشاطئ المواجه للفنادق.

- صباح الخير يا آنسة!

قالها رجل طويل واقف على باب غرفته ويبدو أنه استيقظ لتوه وقرر اغتنام فرصة هذا الصباح المنعش ليغسل رئتيه بهواء البحر النقى.

- صباح الخير.

ردت ليسا فى هدوء دون أن تلتفت له وواصلت سيرها.

أسرع الرجل يلحق بها وصار إلى جوارها قائلاً:

- مكان جميل.

لم تجبه بشىء، فواصل:

- هل تمانعين لو تمشيت معك قليلاً؟ أنا جديد هنا. جئت بالأمس فقط..

توقفت واستدارت إليه قائلة:

- آسفة يا سيد، لكن يجب أن أنصرف.

ولمحت لون الإهانة وقد بدأ يتسلل إلى وجه الرجل وهى تستدير ثم تواصل سيرها مسرعة عائدة، لكنها على أية حال ليست مسؤولة الترويج السياحى فى باربادوس، لكنها ليسا

فيريس، المجروحة التى ليست على استعداد بالمرة لما قد يثير فى نفسها ذكريات عزيزة.. مؤلمة.

كانت قد عادت إلى باربادوس لأنها ببساطة لم تجد مكاناً آخر تذهب إليه. فلندن ليس بها شىء يخصها، وآل ماسى مازالوا فى هاواى، وحتى لو كانوا قد عادوا، فلا تستطيع المغامرة بالعودة ومواجهة رامسى مرة أخرى.

مستحيل أن تستطيع التظاهر مرة أخرى بأنها تمثل أى شىء بالنسبة لها سوى محاولة يائسة للتخلص من ذكريات جرانت، كما أنها لا تعرف على وجه التحديد أين رامسى الآن. ربما كان فى «كاليارى» يسعى وراء مصالحه، ومنذ وضعها بين خيارين لا ثالث لهما، إما هو أو جرانت، لم تسمع عنه شيئاً.

وهكذا عادت إلى المنزل لتعيش فى جو متوتر لدرجة أن أباها، المنشغل الذهن دائماً، قد لاحظه.

وبشكل أو بآخر، وأثناء غيابها عن الجزيرة، أصبح التواصل بسهولة مع والديها أمراً عسيراً، وبعد حديثهما الأول المضنى معها عن سبب عودتها، بدا أمر طلاقها من جرانت بالنسبة لهما أمراً من الصعب استيعابه.

صحيح أنها ابنتهما وحبهما لها هى فى المقام الأول، لكن

ولاءهما كان دائماً مشتتاً بينها وبين جرانت.

عادت إلى المنزل ووجدت خطاباً على منضدة المطبخ. فضته وقرأته. كان من محاميها يخبرها بموعد عقد جلسة مناقشة أسباب الطلاق فى المحكمة فى الأسبوع القادم. هذه المرة لم يرفض جرانت منحها الطلاق، ولا غيّر رأيه.

أغمضت عينيها وأحست بالإعياء.

- ليسا!

أتاها صوت أمها عبر الباب المفتوح الذى دخلت منه ليلى بينسون قائلة:

- هناك خطاب يخصك يا عزيزتى.

لوجت ليسا بالخطاب قائلة:

- أجل رأيته.

غمغمت أمها فى تحرج:

- أوه. صحيح..

ثم صمتت لحظات وبدا الارتباك على ملامحها، ثم خطت نحو أحد دواليب المطبخ وأخذت تعبث فيه فى ارتباك ثم غمغمت قائلة:

- أعلم أنها موجودة هنا فى مكان ما.. تلك الزهرية الزجاجية الكبيرة. هل رأيتها يا عزيزتى؟

ابتسمت ليسا وأجابتها:

- لا عليك يا أماه. يمكنك سؤالى مباشرة عما تريدين.

استدارت أمها ورأت ليسا حمرة الخجل التى لطخت وجنتيها رغم تقدم العمر.

سألتها الأم فى ارتباك واضح:

- أسأل؟ وعم أسأل؟

- عن الخطاب. لو كنت تظنين أنه عن الطلاق، فظنك صائب. ستعقد جلسة الاستماع الأسبوع القادم.

غمغمت الأم وهى تهز رأسها:

- آه.. هكذا!

ثم استدارت وعادت تتذرع بالبحث عن الزهرية وهى تسألها:

- وبعد ذلك ينتهى كل شىء؟

ردت ليسا فى هدوء:

- أجل. تقريباً.

www.elromancia.com

ناشدتها ليلى فى توسل:

- ليسا، يا حبيبتى! هل أنت واثقة تماماً من مشاعرك، ومن أنك تريدين. تريدين الطلاق؟ لقد كان جرانت يبدو دائماً غارقاً فى حبك. بعد كل هذه الاتصالات الهاتفية وزياراته المتكررة لنا بعد أن.. بعد أن.. أقصد..

أكملت لها لسا قائلة:

- بعد أن تركته ورحلت!

ردت أمها فى وجوم:

- لا تحزنى هكذا يا حبيبتى. كنا سنقول لك ذلك، لكن جرانت أكد علينا كثيراً ألا نخبرك بمكالماته واتصالاته هذه.

غمغمت ليسا فى غضب:

- طبعاً! أنا واثقة من ذلك!

يوم الجلسة. ارتدت ليسا ثيابها فى عناية صباح ذلك اليوم. إنها لن تطلب شيئاً من جرانت، لن تطلب سوى حريتها التى بدأت الآن آخر شىء تريده فى هذه الدنيا.

كان محاميها قد نصحها بأن تطلب منه نفقة ولو مجرد مبلغ رمزى، لكنها رفضت. يكفيها أنها لن تكف أبداً ولن تستطيع أن تكف أبداً عن حب جرانت؛ ليست فى حاجة

لرابطة أخرى تربطها به.. يكفيها ذلك الحب المستبد.

قابلها محاميها عند مدخل المحكمة سائلاً:

- هه.. جاهزة؟

ازددت ريقها فى صعوبة وغمغمت:

- أجل. هل سيستغرق الأمر فترة طويلة؟

- لا. بمجرد أن يصل زوجك..

توقف ونظر إلى ما وراء كتفيها فاستدارت. كانت هناك سيارة تتوقف أمام المحكمة. تملكها رعب لم تجربه أبداً من قبل فى حياتها. ترجل من السيارة رجل قصير بدين لم تره أبداً من قبل، ثم ظهر خلفه.. جرانت.

توجه نحوها مباشرة وهو لا يكاد يميزها من بين الحضور بسبب انتقاله من ضوء الشمس المبهر فى الخارج إلى الظلام النسبى فى مدخل المحكمة.

- ليسا!

انتحى المحاميان جانباً ليتناقشا فى بعض المسائل القانونية محل الخلاف، وكل منهما على استعداد لمناقشة أمر إنهاء زواج لم يكن أحدهما أبداً طرفاً فيه.

www.elromancia.com

- هل أنت راضية الآن؟

أخذها صوته على غيرة.

- طبعاً؟ وأنت؟

- طبعاً راضٍ.

تلفت حوله ثم أضاف باهتمام:

- كنت أظن ماسى هنا معك.

ردت فى ارتباك:

- بيل ماسى؟ وما الذى يدفعه للحضور؟

كان بيل ماسى فى هاواى، وحتى لو لم يكن فيها فما كانت تستطيع أن تطلب منه أن يرافقها ليشهد هذه المرحلة من إجراءات طلاقها، مهما كانت قوة عواطفه الأبوية نحوها. بل إنها رفضت حتى أن تسمع لأبويها بمرافقتها إلى المحكمة.

تفحصها جرانت قليلاً ثم قال:

- أظن أن اسمه.. ماسى.

ردت فى سرعة، وقد أدركت خطأها فى فهمه:

- آه، طبعاً. يا لغبائى الشديد! لكن رامسى لا يستطيع

الحضور فهو فى.. فى..

لم يفلح عقلها فى استنتاج مكان رامسى فأضافت فى خفة مصطنعة:

- كيف حال مورجان؟

بدا الضيق على وجهه وهو يجيبها:

- أعتقد أن مورجان لازالت فى هوليوود تفعل نفس الشىء الذى تتقنه. تمثيل العواطف على الشاشة الكبيرة.

يا لبراعته! لقد رمته بالسؤال فى وجهه لكنه تلقفه بمهارة واستغله لصالحه!

سألته:

- كيف حال العمل فى الفيلم؟

يا إلهى! ألن تنتهى هذه المحادثة «المتعبة»! ألن ينادوا عليها للدخول إلى القاعة؟!

- جيد.. على ما أظن.

ولأول مرة تبدو ومضة من ومضات شخصيته الحقيقية..

أضاف فى جدية:

- لقد انتهينا من المشاهد وغداً سنبدأ فى تركيب الصوت

وإضافة التأثيرات الصوتية.

صمت لحظة ثم سألها:

- هل تعلمين أنك تظهرين فيه؟

- لا.

رفعت عينيها إلى السقف ثم بعثرت نظراتها حوله، تتفادى النظر إلى عينيه القابضتين على ملامحها.

ما الذى يفعلانه هنا؟ يثرثران هذه الثرثرة الشائكة بينما محاميهما قد وقفا فى أحد الأركان يستلان سكاكينهما لذبح زواجها منه. كانت تريد أن تصيح وتصرخ قائلة أن هذا كله غلطة فظيعة.. فظيعة..

يا ليتها أغمضت عينيها ثم فتحتهما لتجد كل هذا لم يكن وأنه كان مجرد كابوس.

- وأين أظهر فيه؟

- فى مشاهد الكلاب.

- يا إلهى! لابد أننى قد أفسدتها!

رد باسماً:

- لا. ربما كنت أنا الوحيد الذى لاحظ ظهورك فيها. لقد

ظهرت ضمن مجموعة الكومبارس الواقفين يشاهدون ماسيناك وهو يرحل.

حتى نوريس، بعينيه الثاقبتين، فاتت عليه!

- لكن طبعاً يمكنك الاستعانة بلقطة أخرى، أليس كذلك؟ أظن أنك صورت هذا المشهد مرتين أو ثلاثاً؟

وجّهت السؤال فى الهواء.. بعيداً عن عينيه.

- أجل. لكن أظن أننى سأحتفظ بهذه اللقطة كما هى.

- أوه!

صمت طويل. وكان جرانت غير قادر أو غير راغب على إنهائه.. مثلها تماماً.

لم يكن فى حاجة إلى الحضور بنفسه، خصوصاً وهو مشغول للغاية فى الفيلم. ودون أن ترفع عينيها بدأت تتخيل فى عقلها صورة له ستدوم معها طوال حياتها، ولسوف تحملها معها إلى قبرها.. شعر أشقر؛ أجل لازالت تذكر ذلك، وكيف يتجعد على رأسه ويتطاير كلما داعبه النسيم.

قبضت أصابعها فى قوة تمنعها من التمرد عليها والأنطلاق نحو هذا الشعر لتتحسسه لآخر مرة فى حياتها. ثم عينيه وزرقتهما التى كانت تغوص فيها وتنهل وتنهل حتى

www.elromancia.com

الارتواء.. ولا ترتوى. ويدان كبيرتان لطالما ربتتا على كتفيها وهدأتا من روعها حينما كانت أمواج الحياة العابثة تتقاذفها فى قسوة.. وتلك الابتسامة التى كانت تحلق بروحها عالياً، بعيداً عن هذه الأرض..

يا إلهى! أكتب عليها أن تقتل فى اللحظة ألف ألف مرة كلما تذكرت ملامحه قسمة قسمة وذكرياتهما معاً حلوةً أو مُرَّة!! آه يا ليسا.. آه.

انفتح باب القاعة.. حان وقت الرحيل. استدارت تتصرف وهى تنتزع قدميها انتزاعاً.

أمسك بذراعها وقال بصوت يعتصره الألم:

- ليسا! هل سنفترق هكذا!

وكيف الفراق إذاً؟!

غمغمت فى أنين وهى تبتعد عنه:

- أرجوك! اتركنى! لقد انتهى كل شىء. لم يعد هناك ما يقال.

انفرط عقد الأيام كئيبة مملة، كلها شبيهة ببعضها.. اليوم مثل الغد والأمس وكل يوم.. لا جديد.. لا حياة. وجد لها أبوها عملاً عند أحد أصدقائه وأخذت تتجرع الأيام

حتى يحين موعد جلسة الحكم بالطلاق.

مرت جلسة الاستماع وها هى أصبحت شبه حرة.. وشبه حية. تفعل اليوم ما فعلته بالأمس وما ستفعله بالغد وكل غد.. تأكل وتشرب وتنام. ثم تأكل وتشرب وتنام..

وفى البيت كان الجو أكثر توتراً ومللاً.. ساعات طويلة من الصمت المتوتر وهى تجلس مع أبويها على مائدة الغداء أو العشاء أو الفطور، أو أحاديث لا معنى لها عن موضوعات آمنة كالحفلات والسياح والشياطىء.. الخ.

كانت قد اعتادت على الذهاب إلى الباحة المغطاة فى آخر المنزل مصطحبة كتاباً معها وتجلس بالساعات تدفن نظراتها بين سطوره، ولا تقرأ شيئاً.

وكانت على هذه الحال المساء السابق لجلسة الحكم بالطلاق حينما تناهى إلى مسامعها صوت رنين الهاتف ثم وقع أقدام. توقف الرنين وسمعت صوت أمها:

- ليسا. مكالمة لك. إنها مكالمة خارجية.

سقط قلبها بين قدميها.. شخص واحد فقط هو الذى يمكن أن يكلمها من خارج الجزيرة.

نهضت وذهبت على الهاتف وأمسكت السماعة بيت

ترتجف:

- أهلاً!

- أهلا! كيف حالك؟

صوت امرأة. شابة يأتى مختلطاً بهمهمات مجاورة.

زفرت ليسا فى ارتياح وغمغمت:

- ساندى؟

- نعم، ساندى. أنا فى تورنتو! أهلا! كيف حالك؟

- بخير. وأنت؟

- فى حال ممتازة! طبقاً باستثناء إننى صرت ضمن جيش العاطلين الذين يملأون العالم. لقد انتهى تصوير الفيلم، أو على الأقل دورى فيه. لقد خرجنا للتو لشراب شىء ساخن احتفالاً بذلك.

ابتسمت ليسا رغماً عنها وردت قائلة:

- أتمنى ألا تكونى تفكرين فى البحث عن عمل هنا فى باربادوس. لا نحتاج كثيراً إلى فتيات الريط.

أجابتها ساندى فى مرح:

- لا لا طبعاً. لكن ليس هذا ما اتصلت بك لأجله. لقد

عدت لأخذ أشيائى من الاستدديو، وقلت لنفسى لماذا لا أنتقم منهم وأجرى مكالمة خارجية لأطمئن على أحوالك. كيف الحال؟

غمغمت ليسا:

- بخير.

قالت:

- عظيم! لقد كنا جميعاً قلقين عليك لأنك سافرت فجأة.

ردت:

- كان لدى بعض المشاكل الأسرية.

- آه.

صمتت ساندى لحظة ثم سألتها:

- والآن، هل سارت الأمور على ما يرام؟

- أجل قد انت....

لكنها استدركت بسرعة وقالت:

- أجل لقد تم تسوية الأمور. ماذا ستفعلين بعد ذلك؟

- لا أدرى بعد، لكنى لم أتصل بك من أجل ذلك. ألم

www.elromancia.com

تصلك الأخبار بعد؟

- أخبار؟ أية أخبار؟

- حقاً لا تعرفين؟ لقد تزوجت مورجان من نوريس! إن صور زفافهما تملأ الجرائد وقد أقاما حفلة هادئة فى بيفرلى هيلز لم يحضرها أحد.. طبعاً سوى الأربعة ملايين مصور وصحفى المعتادين. يا سلام على مورجان وشكلها يوم الزفاف! فتاة فى السابعة عشرة و.

واصلت ساندى الكلام لكن ليسا لم تكن تسمع. مورجان تزوجت من نوريس!

يا إلهى! الآن تدرك أنها قد دمرت حياتها بيديها. وهى التى طاردت حب حياتها بالشكوك الغبية وصممت على قتل نفسها بنفسها بالابتعاد عنه!! وهى التى لم تستطع تفهم متطلبات وظيفته وأعمتها الغيرة القاتلة عن إدراك حبه الكبير لها!

لا شك أنه كان يتوقع منها أن تكون ناضجة بما يكفى لتفهم ظروف عمله ومعاونته عليها. وكيف لم تفهم ولم تدرك أن كل ما فعله لأنه يحبها. ذهابه إلى ما سيفيى للتصوير وجرجرة الطاقم كله معه بما فى ذلك من شقة وتكاليف، لمجرد علمه بظهور اسم «ماسى فى خطاباتها إلى والديها..!

- ليسا! ليسا! أين ذهبت؟ أنت يا عامل التحويلة، من فضلك، هل قطعت المكالمة؟!

أعاد صوت ساندى وهى تنفر رافعة الهاتف فى عصبية ليسا إلى الواقع من جديد.

- أجل! ساندى. أنا معك.

- كنت أظن أنهم قطعوا الاتصال. سأودعك الآن، لابد أن المكالمة ستكلفهم الكثير.. سلام الآن وطمأنينى دائماً على أحوالك.

غمغمت ليسا فى وجوم:

- سلام يا ساندى. انتبهى لنفسك جيداً. سلام.

ثم وضعت سماعة الهاتف فى بطء.

ما الذى بإمكانها أن تفعله الآن؟

ستذهب إلى فراشها وتنام، إن طاوعها النوم، وفى الصباح ستستقل السيارة وتذهب إلى بريدجتاون لتحصل على الطلاق..

فى الصباح كانت كل الجرائد تمتلأ بصور زفاف مورجان ونوريس وتقارير عنهما وتعليقات وإشاعات. كما كانت هناك صورة أخرى لمورجان وهى تستقل إحدى الطائرات فى مطار

«سيويل» وتحت الصورة تعليق يربط اسم ليسا باسم جرانت باعتبارها كانت على علاقة عاطفية قديمة معه. هكذا!

إذن فذلك هو سبب وجود ذلك الحشد من المصورين والمراسلين الصحفيين أمام مبنى المحكمة حيث أوقفت ليسا سيارتها.

ما إن رآها محاميها حتى هرول إليها مسرعاً يقول:

- لقد بدأت الجلسة تعالى سأفسح لك الطريق.

ناداها أحد الصحفيين قائلاً:

- آنسة فيريس! بعد إذنك..

يبدو أنه كان يريد إجراء حديث انفرادى معها لكن محاميها تدخل قائلاً فى حدة:

- من فضلك توقف عن إزعاج موكلتى.

ثم دفعها برفق من ذراعها يستحثها على مواصلة السير نحو قاعة الجلسة.

سار الصحيفون وراءهما قليلاً ثم توقفوا محبطين.

- حسناً. ها قد نحن قد وصلنا تقريباً.

همس بها المحامى لكنها ضاعت تقريباً. وسط دفقة من

الصياح والاضطراب سادت حشد الصحفيين المصورين الذين امتلأت بهم باحة المحكمة. وانطلقت أضواء الكاميرات فى تتابع محدثة جلبة كبيرة.

استدارت ليسا والمحامى ليريا سيارة فاخرة تتوقف أمام المحكمة، حيث اندفع نحوها مطاردو الأخبار فى حماس ونشاط، وانطلقت كاميراتهم تلتقط الصور بينما تناثرت أسئلتهم فى المكان فى تنافس محموم.

خطت ليسا باتجاه مدخل المحكمة وتطلعت نحو السيارة وغاص قلبها فى قدميها وجف حلقها وأحست بدوار شديد. مستحيل ما تراه أمامها الآن!

لم يكن فى حاجة للمجىء. مستحيل أن يكون استقل الطائرة وقطع ما يقرب من ألفى ميل لكى يشاهد هو بنفسه مشهد النهاية لشىء دمرته هى دون رجعة.

انفتح باب السيارة وترجل منها جرانت. كانت ذقنه غير حليقة وبدت على ملامحه كل أمارات التعب والإرهاق الشديدين، بما يوحى بأنه قد قضى الليل كله سافراً فى الطائرة. اخترقت نظراته جموع الصحفيين المحتشدين حوله.

وتوجهت ليسا مباشرة نحوه. نظرة لا يمكن أن يفهمها إلا هى.. هى وحدها فقط..!

- سيد جرانت! سيد جرانت!

- سيد فيريس! هنا يا سيد! أنا الذى أسأل!

- اسمعنى يا سيد جرانت! هيه!

تعالت صيحات الصحفين فالكل يريد توجيه الأسئلة إليه وهو يخطو فى بطء متجهاً ناحية سلالم المدخل.

- سيد جرانت! سيد جرانت! هل يمكن أن تخبرنا عن سبب وجودك اليوم هنا؟

كان ذلك صوت أحد الصحفيين وقد بدا أعلى وأكثر إلحاحاً من الآخرين.

توقف جرانت ورد مبتسماً دون أن يحول عينيه عنها:

- بكل تأكيد.

ثم نظر إلى الصحفى السائل وقال له فى لهجة حاسمة وجازمة:

- اجعل ما سأقوله لك الآن عنواناً رئيسياً لصحفيتك.

ثم ناداها وهو ينظر إليها مرة أخرى يضيف فى بطء:

- ولقد جئت اليوم لأمنع زوجتى من ارتكاب أكبر غلطة فى حياتى على الإطلاق..!!